"النقد الإيكولوجي و تجلياته في روايتي (حرب الكلب الثانية)لإبراهيم نصر الله و(إسكندرية ٢٠٥٠)لصبحي الفحماوي"

د. أسماء إبراهيم حسين شنقار

مدرس النقد الأدبي بقسم اللغة العربية بكلية التربية

جامعة دمنهور

"النقد الإيكولوجي و تجلياته في روايتي (حرب الكلب الثانية)لإبراهيم نصر الله و(إسكندرية ٢٠٥٠) لصبحي الفحماوي"

أسماء إبراهيم حسين شنقار

قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة دمنهور

البريد الإلكتروني : asmaashinkar@edu.dmu.edu.eg

ملخص

بين مرحلة زمنية وأخرى تظهر قضايا ملحة على ساحة الحياة تستلزم من الجميع التنبه لها ووضع خطط لتجنب المخاطر الناجمة عنها ولحل الإشكاليات المتعلقة بها ،ويكون الهم الأكبر جاثم على أكتاف المسئولين أصحاب القرار في البلاد ،وكذلك على أكتاف المفكرين والعلماء والمثقفين ،كل في تخصصه. وكثير ما يكون هناك قضية بعينها تجمع كل التخصصات وكل العلوم مع بعضها ،ومن هذه الهموم الكبرى والمشكلات الخطيرة مشكلات البيئة والمخاطر المتعلقة بالكوارث البيئية الحادثة والمتوقعة، الحالية والمستقبلية ،لذا كانت من العلوم البينية التي جمعت الفلاسفة وعلماء البيئة والنقاد والأدباء والساسة والحقوقيين والمهندسين وغيرهم الكثير .حيث نتيجة التطورات المتلاحقة أو لنقل الانحدارات الكارثية في العقود الأخيرة في العالم أجمع انبرى جمع كبير من تخصصات مختلفة للاهتمام بقضايا البيئة والمحاربة من أجلها ، ومن أجل الجيل الحالي والأجيال المستقبلية. وتعد الكتابات البيئية والخطاب البيئي خطابًا ما بعد حداثي ،ويعتبر جزءًا من العولمة السائدة الآن، وهو يشهد نموًا متزايدًا في العالم ،وإن كان هذا الخطاب أكبر في الغرب عنه لدى العرب، وذلك نظرًا للكوارث البيئية المتحققة والمتوقعة نتيجة تعامل بني الإنسان مع البيئة ومحاولاتهم المستمرة لقهر الطبيعة .

وما الوباء المتفشي(الكورونا) في العالم الآن إلا كارثة بيئية حلت على العالم أجمع ،وأثبتت أن الكوارث البيئية عندما تحل فإنها تشمل الجميع وتؤثر على العالم أجمع ويدفع ضريبتها الكل ،بغض النظر عن الجنس أو اللون أو العرق أو الدين، لذا تعلو أهمية قضايا البيئة الآن على أي وقت مضى ،من أجل الحفاظ على البيئة بكل مكوناتها البشرية وغير البشرية. والمسئولية تقع على عاتق الجميع .وبما أن الأدب يمثل الشق المعنوي للحضارة الذي يحرك ويدعم ويوجه الشق المادي ،لذا عليه تحمل مسئوليته تجاه البيئة وقضاياها ،ومن

هنا تأتي أهمية النقد الأدبي البيئي الذي يهتم بالبيئة وعلاقة الإنسان بها ويوجه انتباهه لمشكلات البيئة .

ويتمثل أهمية بحثي _كما أرى والله أعلم – في أمرين :أولهما هو التعريف بالأدب والنقد الإيكولوجي وقبل ذلك بالفلسفة الإيكولوجية والمذاهب الإيكولوجية التي ارتكز عليها النقد الإيكولوجي .

وثانيهما : هو عرض نموذجين من الأدب العربي الحديث الذين اهتما بالقضايا البيئية و يظهر فيهما بوضوح بعض الأفكار المختلفة الموجودة في المذاهب الغربية ،وهذان النموذجان هما رواية الكاتب إبراهيم نصر الله(حرب الكلب الثانية) ،ورواية الكاتب صبحي الفحماوي(إسكندرية ٢٠٥٠).وسبب اختياري لهاتين الروايتين تحديدًا هو تجلي المفاهيم والقضايا الإيكولوجية فيهما ،كما أردت تقديم نموذجين متعاكسين في عرض القضايا البيئية ،حيث اتخذ الكاتب إبراهيم نصر الله الشكل الديستوبي أثناء عرض روايته، بينما اتخذ الكاتب صبحي الفحماوي في عرض القضايا البيئية الاتجاه القائم على الأمل أو التغيير الإيجابي. وهي اختلافات في الشكل فقط بينما الجوهر تجده متشابها ومشتركا بين الكاتبين .

أما عن تقسيم البحث فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول:(البيئة مفهومًا ودلالات)

وقد عرضت في هذا المبحث بعض المفاهيم التأسيسية الهامة التي يستند إليها النقد الإيكولوجي قبل تعرفنا عليه.

المبحث الثاني:النقد الإيكولوجي(المفهوم–النشأة–الموضوع)

وقد عرضت في هذا المبحث مفهوم النقد الإيكولوجي ، وتاريخ نشأته في الغرب باعتباره وليد البيئة الغربية، ثم موضوعاته ومجال اهتمامه .

المبحث الثالث: تمثلات القضايا الإيكولوجية في روايتي (حرب الكلب الثانية واسكندرية٢٠٥٠)

وفي هذا المبحث اهتممت بتتبع القضايا البيئية التي وردت في هاتين الروايتين ،ونظرة كل منهما للطبيعة والإنسان.

كلمات مفتاحية: النقد الإيكولوجي– الخطاب البيئي– خطاب ما بعد حداثي–رواية حرب الكلب الثانية–رواية إسكندرية ٢٠٥٠

Ecological criticism and its manifestations in the novels (The Second Dog's War) by Ibrahim Nasrallah and (Alexandria 2050) by Subhi al-Fahmawi

Asma Ibrahim Hussain Shengar
Department of Arabic Language, Faculty of Education, Damanhour University
Email: asmaashinkar@edu.dmu.edu.eg

Abstract

From time to time, urgent issues arise on the field of life that require everyone to pay attention to them and devise plans to avoid the risks resulting from them and solve the problems related to them, and the greatest concern lies on the shoulders of the decision-making officials in the country, as well as on the shoulders of thinkers, scholars and intellectuals, each in his specialization. Often there is a specific issue that brings together all disciplines and all sciences, and among these major concerns and serious problems are environmental problems and risks related to current and expected environmental disasters, current and future, so it was among the interdisciplinary sciences that brought together philosophers, environmental scientists, critics, writers, politicians, jurists, engineers and many others. As a result of successive developments or the transmission of catastrophic regressions in recent decades throughout the world, a large gathering of different disciplines has begun to pay attention to environmental issues and fight for it, and for the sake of the current and future generations.

Environmental writings and environmental discourse are postmodern speech, and it is considered part of the prevailing globalization now, and it is witnessing an increasing growth in the world, although this discourse is greater in the West than in the Arabs, due to the environmental disasters realized and expected as a result of human interaction with the environment and their continuous attempts to conquer Nature

what the spreading epidemic (Corona) in the world now is but an environmental catastrophe that befell the whole world, and it has proven that environmental disasters when they happen they include everyone and affect the whole world and pay their taxes on everyone, regardless of gender, color, race or religion, so the importance of environmental issues is higher. Now as ever, in order to preserve the environment with all its human and non-human components. The responsibility lies with everyone.

And since literature represents the moral side of civilization

that drives, supports and directs the material side, so it must assume its responsibility towards the environment and its issues, hence the importance of environmental literary criticism that is concerned with the environment and man's relationship with it and directs his attention to environmental problems.

The importance of my research - as I see God knows best - is represented in two matters: The first is the definition of literature and ecological criticism, and before that of ecological philosophy and the ecological doctrines on which the ecological criticism is based.

And the second of them: it presents two models of modern Arabic literature that are concerned with environmental issues and in them clearly show some of the different ideas found in Western schools of thought, and these two models are the novel of the writer Ibrahim Nasrallah (The Second Dog War), and the novel of the writer Subhi al-Fahmawi (Alexandria 2050). For these two narratives specifically, it is the manifestation of ecological concepts and issues in them. I also wanted to present two opposing models in presenting environmental issues, as the writer Ibrahim Nasrallah took the dystopian form during the presentation of his novel, while the writer Subhi al-Fahmawi took the direction of environmental issues based on hope or positive change. They are differences in form only, while the essence you find similar and common between the two writers.

As for the division of the research, I divided it into three main topics:

The first topic: (Environment, concept and implications)

In this topic, I presented some important foundational concepts on which ecological criticism is based before we got acquainted with it.

The second topic: Ecological criticism (concept - origin - topic)

In this topic, I presented the concept of ecological criticism, and its history in the West as the offspring of the Western environment, then its topics and field of interest.

The third topic: Representations of ecological issues in my novel (The Second Dog War and Alexandria 2050)

In this topic, I focused on tracing the environmental issues mentioned in these two narratives, and their views on nature and mankind

Key words: Ecological Criticism - Environmental Discourse - Postmodern Discourse - War Of The Second Dog Novel - Alexandria 2050 Novel

مقدمة:

بين مرحلة زمنية وأخرى تظهر قضايا ملحة على ساحة الحياة تستلزم من الجميع التنبه لها ووضع خطط لتجنب المخاطر الناجمة عنها ولحل الإشكاليات المتعلقة بها ،ويكون الهم الأكبر جاثم على أكتاف المسئولين أصحاب القرار في البلاد ،وكذلك على أكتاف المفكرين والعلماء والمثقفين ،كل في تخصصه. وكثير ما يكون هناك قضية بعينها تجمع كل التخصصات وكل العلوم مع بعضها ،ومن هذه الهموم الكبرى والمشكلات الخطيرة مشكلات البيئة والمخاطر المتعلقة بالكوارث البيئية الحادثة والمتوقعة، الحالية والمستقبلية، لذا نجد أن البيئة جمعت الكثير من العلوم مع بعضها البعض كل بشكل منفرد ،ومع بعضهم البعض في آن واحد ،لذا كانت من العلوم البينية التي جمعت الفلاسفة وعلماء البيئة والنقاد والأدباء والساسة والحقوقيين والمهندسين وغيرهم الكثير .حيث نتيجة التطورات المتلاحقة أو لنقل الانحدارات الكارثية في العقود الأخيرة في العالم أجمع انبرى جمع كبير من تخصصات مختلفة للاهتمام بقضايا البيئة والمحاربة من أجلها ، ومن أجل الجيل الحالي والأجيال المستقبلية . فسنجد مثلا ما يطلق عليه(الفلسفة الإيكولوجية) وذلك فرع يندرج تحت الفلسفة ،وسنجد (علم البيئة) الذي يهتم بالجانب البيولوجي والحيوي من وجهة نظر علمية، وسنجد الأدب و(النقد الإيكولوجي) ،وهو المندرج بطبيعة الحال تحت الأدب والنقد...وهكذا في بقية العلوم . وهناك العديد من المذاهب والحركات التي تهتم بأمر البيئة ،وهي تتفق في الأهداف العامة ولكنها تختلف في تفاصيل أخرى وفي منهجية العمل.

والحق أن بداية هذه المذاهب الإيكولوجية والتي تتخذها الكثير من العلوم والمجالات منطلقا للعمل، والتي نحاول التعريف بها وفهم أفكارها ومصطلحاتها هي (الدول الغربية) ، وليس معنى ذلك أن العرب ليس لهم علاقة بالبيئة عموما وبقضاياها خصوصا، على الإطلاق فعلاقة الشرق

عموما والعرب خصوصا بالبيئة علاقة قوية ومتجذرة لآلاف السنين ،في جميع الحضارات الشرقية كالصينية والفرعونية ،وكذلك في الموروث الديني السماوي كالمسيحية والإسلام ،وهي علاقة أضحت متجذرة في السلوك البشري العربي والشرقي بمظاهر مختلفة قد نعرضها لاحقا. ولكن ربما يجب أن تلتقي أهدافنا مع الغرب بمذاهبه الحالية في ضرورة تكثيف الجهد وتركيز الانتباه للنظر لقضايا البيئة بتطوراتها المختلفة وخاصة بعد الكوارث البيئية المتلاحقة التي نعيشها والتي قد يكون الغرب سبب رئيسي لهذه الكوارث. وما الوباء المتفشي(الكورونا) في العالم الآن إلا كارثة بيئية حلت على العالم أجمع ،وأثبتت أن الكوارث البيئية عندما تحل فإنها تشمل الجميع وتؤثر على العالم أجمع ويدفع ضريبتها الكل ،بغض النظر عن الجنس أو اللون أو العرق أو الدين، لذا تعلو أهمية قضايا البيئة الآن على أي وقت مضى ،من أجل الحفاظ على البيئة بكل مكوناتها البشرية وغير البشرية. والمسئولية تقع على عاتق الجميع .

وبما أن الأدب يمثل الشق المعنوي للحضارة الذي يحرك ويدعم ويوجه الشق المادي ،لذا عليه تحمل مسئوليته تجاه البيئة وقضاياها ،ومن هنا تأتي أهمية النقد الأدبي البيئي الذي يهتم بالبيئة وعلاقة الإنسان بها ويوجه انتباهه لمشكلات البيئة . وفي الحقيقة إن علاقة الأديب العربي بالبيئة ماثلة في كثير من النصوص العربية منذ القدم وليس أدل على ذلك من الشعر الجاهلي الذي يبدأ فيه الشاعر بالبكاء على الأطلال ووصف الرحلة وغيرها من مظاهر التعلق بالبيئة ،ولكن قليل من الأدباء هم الذين اهتموا بعرض المشكلات البيئية ،وتولي مسئولية التوعية بالمخاطر والكوارث البيئية .

ويتمثل أهمية بحثي _كما أرى والله أعلم – في أمرين :أولهما هو التعريف بالأدب والنقد الإيكولوجي وقبل ذلك بالفلسفة الإيكولوجية والمذاهب الإيكولوجية التي ارتكز عليها النقد الإيكولوجي .

وثانيهما : هو عرض نموذجين من الأدب العربي الحديث الذين اهتما

بالقضايا البيئية و يظهر فيهما بوضوح بعض الأفكار المختلفة الموجودة في المذاهب الغربية ،وهذان النموذجان هما رواية الكاتب إبراهيم نصر الله(حرب الكلب الثانية) ،ورواية الكاتب صبحي الفحماوي(إسكندرية ٢٠٥٠).وسبب اختياري لهاتين الروايتين تحديدًا هو تجلي المفاهيم والقضايا الإيكولوجية فيهما ،كما أردت تقديم نموذجين متعاكسين في عرض القضايا البيئية ،حيث اتخذ الكاتب إبراهيم نصر الله الشكل الديستوبي أثناء عرض روايته، بينما اتخذ الكاتب صبحي الفحماوي في عرض القضايا البيئية الاتجاه القائم على الأمل أو التغيير الإيجابي. وهي اختلافات في الشكل فقط بينما الجوهر تجده متشابها ومشتركا بين الكاتبين .

وخلال بحثي عن الدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع بشقيه النظري والتطبيقي فلم تقع يداي على دراسة شملت الجانب النظري بشكل وافي إلا الكتب والمقالات الأجنبية والمترجمة والتي كانت تتعلق بعضها بالمذاهب الإيكولوجية الغربية،ويختص بعضها بالنقد الإيكولوجي، لذا كان اعتمادنا في هذه الدراسة على الدراسات الأجنبية والمترجمة ،وهو ما تزخر به الشبكة العنكبوتية ،ولكننا إذا انتقلنا إلى الدراسات العربية المتعلقة بهذا الاتجاه فلم نجد إلا دراسة مكونة من حوالي عشر صفحات للدكتور محمد أبو الفضل بدران بعنوان(أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية) المنشور ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية ،وقد تناول البحث مفهوم النقد البيئي،والبيئة في الأدب العربي ، وتناول في جانبه التطبيقي الرواية النوبية(وقوف طللي)، والقصيدة العربية كنص بيئي ، وكان من نماذجه التطبيقية قصيدة زهور لأمل دنقل .

هذا إضافة إلى بعض المقالات المتوفرة على الانترنت منها مقال للدكتور جميل حمداوي بعنوان (النقد البيئي أو الإيكولوجي) وقد عرف فيه بمفهوم النقد البيئي وسياق ظهوره ورواده .وربما كان هناك دراسات أخرى غير ما ذكرنا خفيت عنا .

أما عن تقسيم البحث فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول:(البيئة مفهومًا ودلالات)

وقد عرضت في هذا المبحث بعض المفاهيم التأسيسية الهامة التي يستند إليها النقد الإيكولوجي قبل تعرفنا عليه ومنها:

١-مفهوم البيئة لغة واصطلاحًا.

٢- علاقة الإنسان بالبيئة.

٣-المخاطر البيئية الراهنة.

٤-المذاهب الإيكولوجية الغربية.

٥-موقف الإسلام من البيئة.

المبحث الثاني:النقد الإيكولوجي(المفهوم-النشأة-الموضوع)

وقد عرضت في هذا المبحث مفهوم النقد الإيكولوجي ، وتاريخ نشأته في الغرب باعتباره وليد البيئة الغربية ،ثم موضوعاته ومجال اهتمامه .

المبحث الثالث: تمثلات القضايا الإيكولوجية في روايتي (حرب الكلب الثانية واسكندرية٢٠٥٠)

وفي هذا المبحث اهتممت بتتبع القضايا البيئية التي وردت في هاتين الروايتين ،ونظرة كل منهما للطبيعة والإنسان.

وقد أنهيت بحثي بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج الواردة في هذا البحث.

(١)البيئة مفهومًا ودلالات

(١١١) مفهوم البيئة[1]

أولا| لغة: البيئة في المعاجم اللغوية من (بوأ) فقد جاء في لسان العرب « : بوأتك بيتًا أي اتخذت لك بيتًا ،،وقوله عز وجل "أن تبوأ لقومكما

1 -أوردنا نبذة مختصرة فقط عن تعريف البيئة ،حيث لافائدة من الاستطراد في هذا الأمر ،وللمزيد عن مفهومها انظر: نقيطة نعيمة: الفلسفة البيئية(راشيل كارسون-روجر سكروتون)أنموذجان:رسالة ماجستير:إشراف دراس شهرزاد:جامعة وهران:٢٠١٦م

في مصر بيوتًا" أي اتخذا .أبو زيد :أبأت القوم مَنزلا وبوأتهم منزلا تبويئا ،وذلك إذا نزلت بهم إلى سند جبل أو قِبل نهر .والتبوؤ:أن يعُلم الرجلُ الرجلَ على المكان إذا أعجبه لينزلهُ. وقيل :تبوأ فلان منزلا :إذا نظر إلى أسهل ما يرى وأشده استواء وأمكنه لمبيته ،فاتخذه ،وتبوأ: نزل وأقام ،والمعنيان قريبان. والمباءة مَعطِن القوم للإبل حيث تناخ في الموارد .وفي الحديث قال له رجل:أصلي في مباءة الغنم ؟قال :نعم، أي منزلها الذي تأوى إليه وهو المتبوأ أيضًا.وفي الحديث أنه قال:في المدينة ههنا المتبوأ. وأباءه منزلا وبوأه إياه وبوأه له وبوأه فيه،بمعنى هيأه له وأنزله ومكن له فيه . قال:

وبُوئَت في صميم معشرها وتم في قومها مُبَوؤُها

أي نزلت من الكرم في صميم النسب.

والاسم البيئة. ..واستباءه أي اتخذه مباءة. وتبوأت منزلًا أي نزلته. وقوله تعالى "والذين تبوءوا الدار والإيمان"، جعل الإيمان محلا لهم ،على المثل،وقد يكون أراد:وتبوءوا مكان الإيمان وبلد الإيمان ،فحذف وتبوأ المكان :حلَهُ.وإنه لحسنُ البيئة أي هيئةِ التبوء. والبيئة والباءة والمباءة:أي المنزل."[١]

ثانيًا \اصطلاحا: تطلق كلمة البيئة على "مجموع الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد والمؤثرة فيه ،حيث نقول البيئة الطبيعية أو الخارجية ،والبيئة العضوية أو الداخلية ،والبيئة الاجتماعية ،والبيئة الفكرية ."[٢]

وتطلق هذه الكلمة على" جميع الأشياء أو العوامل المنظورة وغير المنظورة التي تحيط بالكائنات الحية في هذا العالم ."[٣] ومعنى ذلك أن

---

١ –ابن منظور:لسان العرب:طبعة دار المعارف:صـــ٣٨٢

٢ –دامصطفى النشار:مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الإيكولوجية المعاصرة :الدار المصرية اللبنانية :الطبعة الخامسة:٢٠٢٠م:صـــ١٥

٣ –داعبدالحكم عبد اللطيف الصعيدي:البيئة في الفكر الإنســاني والواقــع الإيماني:الــدار المصــرية اللبنانية:الطبعة الثانية:١٩٩٦م:صـــ١٧

العناصر المكونة للبيئة ممتدة وواسعة ولايمكن حصرها وهي"ترتبط ببعضها البعض بارتباطات شتى،وفي صور مختلفة بحيث يتكون في النهاية وبصورة مجتمعة ومتداخلة ما يعرف بمعقد العوامل البيئية ،كما تتوقف هذه الانعكاسات على مكوناتها تأثرًا وتأثيرًا."[١]

ومن هذه العناصر على سبيل المثال: المكونات الحية والتي تشمل النباتات والحيوانات، والمكونات غير الحية وتشمل الأرض وطبوغرافيتها المتشكلة من التضاريس التي تعلو سطحها كالجبال والبحار والأنهار والمحيطات ومختلف المسطحات المائية والمناخ.[٢] وكل هذه المكونات تؤثر في بعضها البعض وتتأثر ببعضها ،والإنسان جزء أساسي من هذه البيئة يؤثر فيها ويتأثر بها .وعلماء الأحياء ينظرون للبيئة "باعتبارها مجالًا حيويًا ونظامًا متكاملًا،حيث تشتمل على الكائنات الحية(نبات وحيوان) بالإضافة إلى مقومات الحياة الأخرى ،كالماء والتربة والهواء، كلها عوامل أساسية ومهمة بالنسبة لاستمرار نظم الحياة ،وهذا يعني أن الحياة تدور في البيئة بشكل طبيعي وعادي ومنظم إذا ما روعي في ذلك استخدام الإنسان لها بصورة معتدلة ."[٣]

أما (**علم البيئة**) فيعرف بأنه: "العلم الذي يدرس المنظومات البيئية "[٤] حيث تعد "الكرة الأرضية هي النطاق البيئي الأوسع الذي ينطوي بداخله منظومات بيئية كبرى تشمل النطاق الجوي والمائي واليابسة كما ينظر إلى الحياة بأشكالها المتنوعة التي تتخلل هذه النطاقات بالنطاق الحيوي."[٥] وهو فرع من فروع علم الأحياء الذي يدرس التفاعلات بين الكائنات الحية وبيئتها

١ –نفسه:صـــ٢١

٢ –انظر السابق صـــ٢٢

٣ –نفسه:صـــ٤٩

٤ –دامصطفى النشار:مدخل إلى الفلسفة البيئية :ص_٥٦

٥ –نفسه

الفيزيائية الحيوية، والتي تشمل كلا من الكائنات الحية والمكونات غير الحية.

وقد صاغ كلمة "علم البيئة ("Ökologie") " العالم الألماني إرنست [١] هيكل في عام ١٨٦٦. في كتابهGenerelle Morphologie der Organismen" " .

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الفكر الإيكولوجي مشتق من التيارات الراسخة في الفلسفة، وخاصة من الأخلاق والسياسة حيث وضع الفلاسفة اليونانيون القدماء مثل أبقراط وأرسطو أسس علم البيئة في دراساتهم حول التاريخ الطبيعي. ولقد أصبحت البيئة الحديثة علمًا أكثر صرامة في أواخر القرن التاسع عشركما أصبحت المفاهيم التطورية المتعلقة بالتكيف والانتقاء الطبيعي حجر الأساس في النظرية البيئية الحديثة.

علم البيئة له أصول معقدة، ويرجع ذلك في جزء كبير منه إلى طبيعته متعددة التخصصات حيث كان فلاسفة اليونان القدماء مثل أبقراط وأرسطو من بين أول من سجل الملاحظات على التاريخ الطبيعي.

وقد ارتفعت البيئة في الاهتمام الشعبي والعلمي خلال الحركة البيئية (١٩٦٠-١٩٧٠). وهناك روابط تاريخية وعلمية قوية بين البيئة والإدارة البيئية والحماية.

وقد كان للنساء دور شديد الخطورة في المرحلة المبكرة من الاهتمام بالبيئة في أوائل القرن العشرين فقد قاتلن من أجل البيئة الصحية الحضرية (التي كانت تسمى آنذاك علم الرفاهية).وقد أحدثن تغييرات في التشريعات البيئية. ومن هؤلاء إيلين سوالو ريتشاردز وجوليا لاثروب، وقد كن مقدمة للحركات البيئية الأكثر شعبية بعد الخمسينيات.

وفي عام ١٩٦٢، ساعد كتاب البيولوجيا البحرية وعالمة البيئة راشيل كارسون في كتابها (الربيع الصامت)في تعبئة الحركة البيئية من خلال تنبيه الجمهور إلى المبيدات الحشرية السامة، مثل ثنائي كلورو ثنائي فينيل

١ – كان هيكل عالم حيوان وفنان وكاتب، وبعد ذلك أستاذ علم التشريح المقارن.

ثلاثي كلورو الإيثان، التي تتراكم أحيائياً في البيئة. واستخدمت كارسون العلوم البيئية لربط إطلاق السموم البيئية بصحة الإنسان والنظام البيئي. منذ ذلك الحين، عمل علماء البيئة على تجسير فهمهم لتدهور النظم الإيكولوجية للكوكب مع السياسة البيئية والقانون والإصلاح وإدارة الموارد الطبيعية. [١]

(١١٢)علاقة الإنسان بالبيئة:

تمثل البيئة للإنسان أهمية كبرى حيث ترجع أهميتها " إلى كونها أصل نشأته ،وبداية مادته، فمنها خلق، وعليها وفيها يحيا ويمارس دوره المنوط به(...) كما أن حياة الإنسان محكومة بكثير من العوامل المادية والأخلاقية ،فحياته أيضا محكومة بعوامل البيئة ومتأثرة بقوانينها ،لا على سبيل الإجبار، ولكن في إطار من الحرية والاختيار."[٢]

وباعتبار الإنسان أحد الكائنات الحية التي تعيش في البيئة ،"فثمة علاقة جدلية تقوم تلقائيا بين الإنسان وبقية الكائنات الحية من جهة والبيئة الطبيعية التي وجدوا فيها من ناحية .وعادة ما تقوم هذه العلاقة على مسلمة مفادها(أن البيئة الطبيعية هي التي تشكل الموارد الطبيعية لغذاء ونمو وتكاثر الكائنات الحية)"[٣]

وبذلك فهناك علاقة جدلية تنشأ بين الإنسان من جهة وبقية عناصر البيئة من جهة أخرى سواء الحية أو غير الحية، وهذه العلاقة الجدلية "تكشف ببساطة عن الفعل الإنساني في الطبيعة ،كما تكشف عن نوع التطور لهذا الفعل الإنساني الذي بدأ بلا شك تلقائيًا وبسيطًا لمجرد الحفاظ على الحياة ثم تطور حتى بدا أن الإنسان في العصر الحاضر يريد عبر تقدمه العلمي والتكنولوجي ليس فقط الاستفادة القصوى من كل موارد هذه البيئة ،بل أيضا التعدي على هذه الموارد وتغيير طبيعتها للإكثار منها واستنفادها

١ –انظر (علم البيئة) ويكيبيديا ar.m.wikipedia.org

٢ –دمصطفى النشار:صـ٤٢ (بتصرف)

٣ –نفسه:صـ١٥

بأشكال شتى خرجت عن حدود الحفاظ عليها والتعدي إلى تدميرها وإفسادها وجعلها بيئة غير صالحة للحياة ليس له فقط بل لكل الكائنات الحية الأخرى."[١]

وقد لخص الدكتور مصطفى النشار مراحل تعامل الإنسان مع البيئة عبر الزمن في خمسة مراحل وهم:

١- مرحلة التقديس والتأليه: وهذه المرحلة هي الأولى من حياة الإنسان حينما وجد نفسه"وسط بيئة طبيعية موحشة ومقلقة لايستطيع السيطرة الكاملة عليها، ومن ثم لجأ إلى فهمها ذلك الفهم الأسطوري الخرافي، حيث اضطر إلى تأليه هذه الظواهر البيئية والطبيعية المحيطة به"[٢] لذلك نجد في حضارات الشرق القديمة تأليه لبعض مظاهر الطبيعة أو اتخاذها رموز لآلهتهم .

٢- مرحلة التوظيف والتفسير: وهذه المرحلة بدأت "مع الفلسفات اليونانية وظهور الفلسفات الطبيعية التي حاولت تفسير العالم الطبيعي ورده إلى عناصره، ومن ثم بيان أهمية هذه العناصر والكائنات المكونة منها للإنسان ولحياته."[٣]

ونجد أفلاطون يقدم تفسيره المشوب بالأسطورة للعالم، ثم أرسطو الذي يرى أن الأرض هي مركز العالم الطبيعي.

وفي هذه الفترة إلى العصر الحديث كان "البشر ينظرون إلى البيئة الطبيعية المحيطة بالإنسان على أنها البيئة التي هيأها الله لخدمة الإنسان بكل ما فيها من كائنات حية وظواهر طبيعية ،ونظر الإنسان إلى نفسه آنذاك على أنه الكائن المستخلف على هذه الأرض ،وهي بما عليه كائنات مسخرة

١ -نفسه:ص١٦

٢ -نفسه:صـ٢١

٣ -نفسه:صـ٢٢

لخدمته وتحت تصرفه ،ولم يكن ثمة قيمة لأي كائن آخر من كائنات الطبيعة إلا بمدى منفعته للإنسان الذي عد نفسه مركز الوجود ،وكل الطبيعة وكائناتها في خدمته وتحت أمره." (١)

٣-مرحلة الاستغلال والسيطرة: وهذه المرحلة "بدأت مع ظهور العلم الحديث بمناهجه الحديثة التي جعلت العلماء منذ كوبرنيقوس وجاليليو ونيوتن وغيرهم ،والفلاسفة منذ ديكارت وبيكون ولوك وهيوم وغيرهم يرسخون مقولة: إن الطبيعة غايتها خدمة الإنسان ،وكلما نجح الإنسان في فهم الظواهر الطبيعية بمنهجه التجريبي ، واستطاع استغلال مواردها الطبيعية وكائناتها الحية الأخرى لخدمته كلما انتصر عليها وحقق تقدمه المنشود عبر استغلال مواردها الطبيعية وتسخير كائناتها لخدمته وتحقيق رفاهيته ."(٢)

وكثيرا ما يتحدث المهتمون بالبيئة عن هذه المرحلة على وجه التحديد وذلك لأنها غيرت مسار التاريخ ،وأفهمتنا أكثر عن الجسم البشري وعن العقل البشري ،وهي دعمت الثنائيات المختلفة مثل ثنائية(الجسد والعقل)والذي يتبعه ثنائية (العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية)وهو ما يشكك في صحته النقد البيئي ،وعن ذلك يقول جو موران:"شكلت جهود ديكارت وغيره من العلماء والفلاسفة في القرنين السادس عشر والسابع عشر في مجال التمييز بين الجسد الذي يعمل بطريقة ميكانيكية كغيره من عناصر الطبيعة ،وبين العقل البشري المستقل ..شكلت خطوة مهمة على طريق فهمنا للطبيعة .فقد مهدت الطريق للمزيد من التطور في مجال تشريح الجسم البشري ،كما استخدمت لتبرير تشريح الحيوانات -دون قتلها- لأغراض علمية ،إذ ليس هناك غضاضة في تشريح ما لاعقل أو روح له .كما كان

١ -نفسه:صـ٢٢

٢ -نفسه:ص_٢٣

لثنائية الجسد\العقل أهميتها في الفصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية. فقد كانت مهمة العلوم الطبيعية–طبقا لهذه الرؤية –هي السيطرة على الآخر المحايد ،الذي هو هنا الطبيعة بما فيها الجسم البشري ،أما العلوم الإنسانية فقد كانت مهمتها هي البحث فيما ينتجه العقل والثقافة ،والذي يفترض كونه مستقلا كل الاستقلال عن الجسد ،أما النقد البيئي فهو يشكك في صحة الفصل بين المادة والعقل والطبيعة والثقافة ،وبين العلوم الطبيعية (مثل علم الأحياء وعلم الجيولوجيا) وبين العلوم الإنسانية (كالنقد الأدبي ،والدراسات الثقافية ،والتاريخ الثقافي) ومما يعتمد عليه في تبيان أن فهم العلم للطبيعة هو دائما نتاج الثقافة ووليدها."[١]

ومن الجدير بالذكر أن الكثيرين اعتبروا المشروع العلمي التنويري في هذه الفترة مشروع طبيعته قاسية لاسيما "المنهج التجريبي الذي وضعه بيكون، وثنائية ديكارت ،ففي كثير من كتاباته يقول بيكون إن العلم سوف يتيح للناس–آخر الأمر–أن يتحكموا في الظروف الجوية ،وأن يغيروا طبيعة الفصول ،وأن يزيدوا من إنتاجية المحصولات الزراعية ،أي إن المرء يدرس الطبيعة كي يتمكن في النهاية من السيطرة عليها. ويرى أدورنو وهوركهايمر أن منهج بيكون العلمي قام على(تحويل العالم إلى شيء غير سحري)،إنه (رؤية ذكورية للتناغم بين العقل البشري وبين طبيعة الأشياء.. هدفه جعل العقل البشري بهزيمته للخرافة، يسيطر على الطبيعة بتحويلها من شيء مغلف بالسحر إلى شيء عادي)."[٢]

٤–مرحلة القهر والاستبداد: هذه المرحلة تمثل نتيجة طبيعية للمرحلة السابقة ،فبعد أن زال عن الطبيعة سحرها وزالت قدسيتها وتأليهها ،نتيجة

١ –جو موران:العلم والمكان والطبيعة في النقد البيئي: ترجمة سمر طلبة: مجلة فصول :العدد (١٠٢): المجلد(٢١٢٦):صـ٤٠٤

٢ –نفسه:ص_٤٠٣

للمعرفة والعلم الذي توصل إليه الإنسان والذي مكنه من السيطرة على الظروف المختلفة ،وعلى استغلال الطبيعة أكثر فأكثر. ولم يكتف الإنسان بما توصل إليه بل حلم أن يكون الإله الذي يخلق ويغير ويتحكم في كل شيء دون النظر لأي عواقب أخلاقية ، ودون النظر لأي شيء سوى منفعته الذاتية والقريبة ، فقهر الطبيعة واستنفذ مواردها ،وأحدث تحولات كثيرة بين الكائنات الحية المختلفة من نباتات وحيوانات "مما أصبح يهدد بالفعل الحياة البرية بل وحياة الإنسان نفسه على كوكب الأرض ،ولم يتوقف جبروت التحكم العلمي عند هذا الحد ،بل ذهب إلى تطوير تكنولوجيا للهندسة الوراثية والاستنساخ والروبوت بأجيال شتى يمكن أن تغير تماما من طبيعة الكائنات الحية وأعمارها وأشكالها ،بحيث تختلط أنسابها ولاتعد طبيعية،أو حتى شبه طبيعية .وفضلا عن ذلك فقد شهد التقدم العلمي وإبداعات الإنسان من الأسلحة الفتاكة عسكرية كانت أو بيولوجية أو كيماوية حدا يمكن تدمير البيئة أو على الأقل –إن حسنت النوايا– التأثير السلبي عليها ،سواء في السماوات(ثقب الأوزون)أو في الأرض(الجفاف والتصحر) ،أو حتى في الإنسان(الأمراض الفتاكة)...إلخ"[١]

وكل ذلك يهدد بقاء الإنسان على الأرض ،ويهدد الأجيال القادمة فيحرمها حقها في عيش حياة آمنة كريمة، بل ويحرم الطبيعة نفسها بمكوناتها من حقوقها .

٥–مرحلة الصون والاحترام: بعد كل ما صنعه الإنسان من تحكم في البيئة وتدمير للطبيعة وقهر لها بأشكال مختلفة ومتعددة ، تدهورت الأمور كثيرا ورأى البعض خطورة ما أحدثه الإنسان ،لذا انبرى عدد من العلماء والفلاسفة والمفكرون ينبهون ويحذرون من مغبة استغلال

١ –دامصطفى النشار:صـ٢٣

الطبيعة والآثار السلبية المختلفة المترتبة على التقدم العلمي والتكنولوجي الحديث خاصة الاستنساخ والهندسة الوراثية وغيرها ،لذلك تحولوا إلى "الدعوة إلى احترام البيئة واحترام حقوق الكائنات الأخرى ،والحرص على مستقبل الأجيال البشرية القادمة بعدم تبديد الموارد الطبيعية التي ينبغي الحفاظ عليها لمصلحتهم ،فضلا عن الدعوة إلى الحفاظ على الكائنات الحية بمختلف أنواعها من الانقراض وتخصيص ميزانيات ضخمة للحفاظ على التوازن البيئي وإنشاء المحميات الطبيعية للكائنات الحية برية كانت أو بحرية، ووضع التشريعات والقوانين اللازمة لصون البيئة الطبيعية وحقوق الكائنات الأخرى وإيقاظ أخلاقيات البحث العلمي التي تحمي حقوق الكائنات الأخرى وحقوق الأجيال البشرية القادمة."[١]

وهذه النقاط السابقة الذكر هي محور عمل كل المدافعين عن البيئة والطبيعة كل في مجاله ،وبطرقه الخاصة . فهذا هو مجال عمل الفلسفة البيئية والنقد البيئي وحماة البيئة وغيرهم.

(١١٣)المخاطر البيئية الراهنة:

تتعد المشكلات البيئية الناجمة عن تدخل الإنسان في الطبيعة ومحاولات قهرها-كما سبق وأوضحنا- وإخلاله بالتوازن الذي خلقها الله عليه ، فالله قد "خلق البيئة الطبيعية على صورة متوازنة ،ولو سارت الحياة وفق هذا السنن الطبيعي لما انتابتها المعضلات أو المشاكل القاتلة ،ولكن جموح الإنسان قد دفعه إلى إرباك هذا النظام(...) وبالتالي يتضح لنا أن هذه المشكلات إنما ظهرت كنتيجة مباشرة للتدخل غير الواعي للإنسان في استخدام هذه المكونات ."[٢]

١ -نفسه:ص_٢٤

٢ -داعبد الحكم عبد اللطيف:البيئة في الفكر الإنساني:ص٤٩

ونعرض لبعض هذه المشكلات سريعا [١] فمنها :

١- في المجالات الزراعية: التصحر-انخفاض إنتاجية الأراضي الزراعية وتدهورها -التغييرات الجوهرية في المناخ العام.

٢- في المجالات الصناعية: التلوث البيئي-استخدام المواد الكيمياوية لأغراض عسكرية- الأضرار المناخية (ارتفاع درجة حرارة الأرض\ ارتفاع مستوى سطح مياه البحر\هطول الأمطار الحمضية\ تآكل الأوزون)

٣- في المجالات الاقتصادية: انتشار المجاعات\التكاليف العلاجية لأمراض البشر

٤- في المجالات الاجتماعية: انتشار الفقر والرذيلة ..حيث أصبح ينظر إليهما مؤخرا على أنهما من مشكلات البيئة خاصة الفقر لأنه ناجم عن مشكلات البيئة المباشرة وكذلك لما له من آثار على الصحة النفسية والصحة العامة .

وهذه قلة من المشكلات التي نعيشها والمتوقع أن تتزايد في السنوات القادمة إن لم تتغير السياسات البشرية تجاه الطبيعة.

(١٤)المذاهب الفلسفية الإيكولوجية الغربية:

لاشك لدينا أن أي فكر أو حركة لها فلسفتها الخاصة التي توجه العمل وتحدد مبادئه وكذلك طريقة عمله ،فالفلسفة هي "دراسة لما ينبغي أن يكون لإدراك جوهر الظواهر الجزئية ،وإدراك المبادئ الكلية الكامنة خلفها ،والتي ما إن يدركها الإنسان حتى يستطيع إدراك الحلول الشاملة لمثل هذه الظواهر الجزئية عن طريق العلوم كل في مجال تخصصه."[٢] لذلك لابد من المرور على هذه المذاهب الفلسفية الإيكولوجية وفهم أبعادها وذلك لأنها تتغلغل في

١ -انظر بالتفصيل :د\عبد الحكم عبد اللطيف:صـ٤٩ إلى صـ٧١

٢ -د.مصطفى النشار:صـ٥٨

كل العلوم والمعارف ،ولاشك أنها شديدة الصلة بالنقد الأدبي وبمذاهبه المختلفة ،فكل المذاهب الأدبية والنقدية–تقريبا– ولدت من المذاهب الفلسفية واتكأت على أفكارها ،لذلك وقبل الحديث عن النقد الإيكولوجي لابد من تحديد أبعاد هذه المذاهب الفلسفية الإيكولوجية .

ومن الجدير بالذكر أن فلاسفة البيئة قد "أدركوا أن مشكلة البيئة هي الإنسان ،وأن لها أبعادها الأخلاقية والنفسية،كما أن لها أبعادها العلمية المؤثرة على اتجاهات التقدم العلمي في المستقبل."[١]

ولقد تعددت المذاهب البيئية في الغرب المدافعة عن البيئة والمناقشة لقضاياها ،وكلها تنبثق من منطلقات أساسية متقاربة، ولكنهم يمتلكون وجهات نظر متباينة حول ما يعتبرونه جذور الأزمة البيئية ،وتنقسم الفلسفة البيئية وفقا لتقسيم مايكل زيمرمان في كتابه الهام(**الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوحيا الجذرية)** إلى ثلاثة حقول أساسية [٢] وهي:

١- **<u>الأخلاق البيئية أو الإطيقا الإيكولوجية (البيئوية):</u>**

وهو تيار ضمن الفلسفة الأخلاقية المعاصرة بدأ يتشكل منذ أواسط سبعينيات القرن العشرين في إطار دراسة أسباب وعواقب الأزمة البيئية ،ويؤكد أتباعه أنه لن يحصل تقدم في إنهاء الأزمة البيئية إلا إذا حدث تحد للمعايير الأخلاقية للمركزية البشرية ووسعنا قاعدة الاعتبارية الخلقية لتشمل الكائنات غير البشرية.

---

١ –نفسه:صـ٥٨

٢ –قسمها مايكل زيمرمان في كتابه (الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية)إلى ثلاثة حقول،وأضاف إليها د.مصطفى النشار حقلا رابعا رصده لدى أحد الفلاسفة الكبار (يوناس)وهو المسئولية الأخلاقية .

وهذا الاتجاه شمل ثلاث تيارات داخله وهم:

أ-الدعوة لاحترام حقوق الحيوان:

ومثل هذه الحركة الفيلسوفان (بيتر سنجر وتوم ريجان) وفي هذا المذهب يطالبون بالمساواة بين كل الكائنات الحية ويدعون إلى احترام حقوق الحيوان ، ونبذ كل عنف يمارس ضدهم سواء في طريقة تربيتهم أو حبسهم في أماكن غير ملائمة أو التعامل معهم بغرض الاستفادة منهم في التجارب المعملية .

وهذا الاتجاه يتفق مع الإيكولوجيا الأخلاقية في المنهج ولكنهم يختلفون إلى درجة التعارض في الممارسة، يقول عن ذلك كاليكوت :" أما في الممارسة فغالبا ما يتداخل تيارا الأخلاق البيئية وتحرير حقوق الحيوان . وغالبا أيضا كما لاحظنا ما يتنازعان. فعلى سبيل المثال .إن المواشي الداجنة وقطعان الأغنام والأرانب الشرهة والماعز والخنازير وأمثالها كثيرا ما تهدد بتدمير منظومات بيئية حساسة ،وبالقضاء على أنواع نباتية معرضة للخطر . إن الأخلاق البيئية التي يتبناها معظم البيئيين تتطلب الحفاظ على المنظومات البيئية ،وبالتحديد الأنواع النباتية ،مهما كان الثمن، حتى لو أدى ذلك إلى قتل الحيوانات الثديية العاشبة المألوفة ،بينما الأخلاق التي يتبناها الناشطون في تيار تحرير حقوق الحيوان تفضل الحيوانات الثديية حتى لو أدى ذلك إلى المزيد من التدهور البيئي وتآكل التنوع الحيوي."[١]

وبالتالي فالنباتات لا تدخل في حسبان هذا التيار ،إضافة إلى بقية عناصر البيئة الأخرى مثل (الهواء\الماء\الأرض).

ب-منظومة الأخلاق المتمركزة حيويًا:

يقدم هذه النظرية بول.و.تايلور ،وهي مستندة على أساس معارضة

---

١ ــ ج بايرد كاليكوت: الأخلاق البيئية : ضمن كتاب مايكل زيمرمان الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية:الجزء الأول:ترجمة معين شفيق رومية :عالم المعرفة:أكتوبر ٢٠٠٦م :صـ٢٩

التوجهات المختلفة الخاصة بـــ(المركزية البشرية) لذا يُعرِّف بها بول تايلور قائلا: "وأقصد من نعت النظرية ،موضع التوضيح ،بأنها متمركـــزة حيويًـــا ،معارضتها مع كل النظرات الناشئة عن المركزية البشـــرية .فوفقـــا لهـــذه الأخيرة ،إن أفعال البشر المؤثرة في البيئة الطبيعية وقاطنيها غير البشر تعد صائبة أو خاطئة تبعا لأحد معيارين :لعواقبها المواتيـــة أو غيـــر المواتيـــة لسعادة الإنسان، أو لاتساقها أو عدم اتساقها مع منظومة المعايير التي تحمي وتنجز الحقوق البشرية .فمن وجهة نظر التمركز البشـــري هـــذه جميـــع الواجبات تخص في النهاية البشر وفقط البشر، ربما تترتب علينا مسئوليات في علاقتنا مع المنظومات البيئية والمجتمعات الحيوية على كوكبنا ،لكن هذه المسئوليات تستند –في كل حال–إلى الواقعة الافتراضية التالية: هل يمكـــن لتعاملنا مع المنظومات البيئية ومجتمعات الحياة أن يعزز تحقيق القيم البشرية أو الحقوق البشرية .فليس علينا أي إلزام في تشجيع أو حماية خير الأشـــياء الحية غير البشرية بمعزل عن هذه الواقعة العرضية. إن منظومة الأخـــلاق البيئية المتمركزة حيويا تعارض المتمركـــزة بشـــريا فـــي هـــذه النقطـــة بالضبط."[١]

ومعنى ذلك أن الاختلاف بين الاثنتين في نقطة جوهرية حيث تتحدد في النظرات (المتمركزة بشريا)واجبات ومسئوليات الإنسان تجاه البيئة من خلال مدى الفائدة أو النفعية التي ستعود على الإنسان فقط ،بينما في (المتمركزة حيويا) تكون واجبات الإنسان تجاه البيئة واهتمامه بعناصرها لذاتها فحسب ولخيرها الخاص وليس لنفعيته الخاصة .

فهذه النظرية تدعو إلى "تغيير نظرتنا من هذه المركزية البشرية التي تنظر إلى كل ما يحيط بنا على أنه ملكية خاصة للإنسان يتصرف فيه كيف

١ –بول.و .تايلور: أخلاقيات احترام الطبيعة (منظومتا التمركز البشري والتمركز الحيوي في الأخـــلاق البيئية): ضمن كتاب مايكل زيمرمان(ج١):صـــ١١٤

يشاء ،إلى إقرار مركزية من نوع آخر هي المركزية الحيوية بمعنى أن الإنسان هنا مثله مثل أي كائن حي آخر ،كلهم ينبغي أن ينظر إليهم وفق منظومة واحدة هي أن جميعهم كائنات حية لهم مثل بعضهم البعض من حقوق وواجبات."[١]

وهذه النظرية (الأخلاقية المتمركزة حيويا نحو الطبيعة)تقوم على أربع مقومات كما يحددها بول.و.تايلور قائلا :"

١- يجري التفكير بالبشر كأعضاء في مجتمع الحياة على كوكب الأرض وهم يشغلون تلك العضوية بالشروط ذاتها التي تطبق على جميع الأعضاء غير البشريين .

٢- ينظر إلى المنظومات البيئية للأرض بمجموعها كشبكة معقدة من العناصر المترابطة ،حيث الوظيفة البيولوجية السليمة لكل كائن تعتمد على الوظيفة البيولوجية السليمة للآخرين.(وهذا الدرس تعلمناه من علم الإيكولوجيا)

٣- يتم تذهن كل كائن حي مفرد كمركز غائي للحياة، يسعى نحو خيره الخاص بطريقته الخاصة.

٤- سواء كنا مهتمين بمعايير الجدارة أو بمفهوم القيمة الأصلية فإن دعوى كون البشر بطبيعتهم الخاصة متفوقين على الأنواع الحية الأخرى هي دعوى بلا أساس ،ويجب نبذها وفق البنود(١)و(٢)و(٣) أعلاه ، باعتبارها ليست أكثر من انحياز لاعقلاني لمصلحتنا."[٢]

وباتحاد هذه البنود الأربعة تتضح النظرية الأخلاقية المتمركزة حيويا .

ج-<u>أخلاق الأرض:</u>

في هذه النظرية يوسع الفلاسفة البيئيين أصحاب مذهب (أخلاق

١ -د.مصطفى النشار:صـ٧٣

٢ -نفسه:صـ١١٤

الأرض) دائرة الأخلاق البيئة لتشمل كل ما هو موجود على الأرض ،لـــيس فقط الكائنات الحية غير البشرية ،ولكن المكونات المادية المكونة للبيئة مثل الهواء والماء والتربة وغيرهم .

وتمثل هذا المذهب بداية مع الفيلسوف الأمريكي ألدو ليبولد الذي دعى كما سبق وقلنا إلى مجتمع أكبر وهو مجتمع الأرض، وقد أقر أن المشـــكلة الكبرى التي تواجهنا "تتمثل في الامتداد بالضمير الاجتماعي ليشمل الأرض إلى جانب الناس."[١] ومن العوائق الهامة التي تقف في سبيل أخلاق الأرض هو عدم وجود قيمة اقتصادية نفعية للكثير من الكائنات الحية وغير الحيـــة، وعدم وجود مصلحة شخصية مباشرة للحفاظ على هذه الكائنات.

ويطرح ليبوبل أفكارا ومفاهيما مختلفة تتعلـــق بـــالتوازن الطبيعـــي الموجود في الأرض أو ما أطلق عليه(هرم الأرض) والذي يوحي بالتكاملية بين عناصر البيئة المختلفة وأن أي تدخل فيها خاصة التدخلات العنيفة يؤدي لحدوث خلل واضح فيها ،ويطرح قضيتين أساسيتين ناتجتين عن التـــدخل البشري وهما:"هل تستطيع الأرض التكيف مع النظام الجديد؟ هـــل يمكـــن إنجاز التغيرات المرغوبة بعنف أقل؟"[٢]

٢- <u>الإيكولوجيا الجذرية(العميقة):</u>

ارتبط اسم الفيلسوف النرويجي (أرني نايس)١٩١٢(م-٢٠٠٩م) بأهم مذهب بيئي معاصر وهو ما عرف بالإيكولوجيا العميقـــة، وهـــو صـــاحب المصطلح الذي قدمه لأول مرة في بحثـــه "الضـــحل والعميـــق ..حركـــات الإيكولوجيا بعيدة المدى "وذلك في بوخارست عـــام ١٩٧٢م فـــي مـــؤتمر مستقبلات العالم الثالث .و"لقد انبثقت حركة الإيكولوجيا العميقة عن خبرات

١ -ليبولد:أخلاق الأرض:ضمن كتاب زيمرمان:صـــ١٥٤

٢ -نفسه:صـــ١٦٠

علماء البيئة الميدانيين أمثال راشيل كارسون[١] وانخرطت في التساؤل العميق حول أهداف مجتمعات النمو الصناعي ومدى قدرتها على الحياة. كان نايس يحاول في بحثه توطيد الحدوس والاستنتاجات العلمية والفلسفية للثورة البيئية المتمركزة إيكولوجيا في الستينيات والتي كانت كما يزعم نايس متماثلة في جميع أنحاء العالم. وهذه تشمل الترابطية الداخلية للمنظومات البيئية والمساواتية الإيكولوجية ،وتقدير قيمة التنوع والتعايش ،والتعقيد الإيكولوجي ، والاحترام العميق ،أو حتى تبجيل الطبيعة البرية، والموقف اللاطبقي والاستقلال المحلي واللامركزية. إن الكفاح ضد التلوث واستنزاف الموارد مشمل باعتباره أحد جوانب الموقف الإيكولوجي العميق ككل."[٢] ولقد كتب نايس في الفلسفة البيئية وطور عمله هذا حتى وصل إلى كتاب (الإيكولوجيا والمجتمع وأسلوب الحياة)وصدر باللغة النرويجية ،وهو أول كتاب في الفلسفة البيئية يصدره فيلسوف محترف، وقد صدر مترجما ومنقحا باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٩م.

"وخلال أواخر الستينيات بدأ نايس في استنباط فلسفته الإيكولوجية الخاصة ،مستندا إلى فلسفات اسبينوزا وغاندي ،وقد دعاها الحكمة الإيكولوجية T (نسبة إلى تفيرغاستين Tvergastein،كوخه الجبلي المتموضع على قمة جبلية عالية بين أوسلو وبيرغين)تتأسس الحكمة الإيكولوجية Tعلى معيار نهائي واحد وهو(تحقيق الذات)الذي يشير إلى الطبيعة كلها (التاو theTao) وإلى أن كل فرد من البشر أو غير البشر في الطبيعة يحقق ذاته ."[٣]

---

١ –انظر كتاب راشيل كارسون:الربيع الصامت :ترجمة د:أحمد مستجير:الهيئة العامة لقصور الثقافة:يناير ٢٠٠٥م

٢ –جورج سيشنر:مقدمة الباب الثاني :الإيكولوجيا العميقة من كتاب الفلسفة البيئية :مايكل زيمرمان:صـ٢٤٤

٣ –نفسه"صـ١٤٤

وفي عام ١٩٨٤م قدم نايس برنامجا مكونا من ثمان نقاط وأطلق عليه (برنامج الإيكولوجيا العميقة) وبذلك تحولت الإيكولوجيا العميقة إلى حركة سياسية واجتماعية وكذلك حركة فلسفية ،وهذا البرنامج يبدأ بالمعايير الفلسفية الأساسية المتمركزة إيكولوجيا لحركة الإيكولوجيا العميقة ثم يقود إلى أحكام سياسية عامة حول النشاط وأسس التغيير.[١]

وهذه النقاط الثمانية هي:

١- إن عافية وترعرع الحياة البشرية وغير البشرية على كوكب الأرض لها قيمة في حد ذاتها ،وهذه القيمة مستقلة عن نفع العالم غير البشري للأغراض البشرية.

٢- إن ثراء وتنوع أشكال الحياة يسهمان في تحقيق هذه القيم ،ولهما أيضا قيمة في حد ذاتها.

٣- ليس للبشر الحق في إنقاص هذا الثراء والتنوع إلا من أجل تلبية الحاجات الحيوية.

٤- إن ترعرع الحياة البشرية وثقافاتها يتوافقان مع عدد سكان أصغر جوهريًا ،وإن ترعرع الحياة غير البشرية يتطلب عدد سكان أصغر.

٥- إن التدخل البشري الحالي في العالم غير البشري كثيف جدا ،والوضع يتزايد سوءا.

٦- لذلك فإن السياسات يجب أن تتغير .هذه السياسات تؤثر في البيئات الأساسية الاقتصادية والثقافية والأيديولوجية .إن الحالة الناجمة عن هذا التغيير سوف تختلف بعمق عن الحاضر.

٧- سيكون التغيير الأيديولوجي الرئيسي هو ذلك الذي يثمن نوعية الحياة(الإقامة في أوضاع القيمة الأصلية) أكثر مما يشايع مقياسا للعيش متزايدا باطراد .ينبغي أن يكون ثمة وعي عميق بالفرق الكبير والرفيع.

---

١ –نفسه

٨- أولئك الذين يؤيدون النقاط السابقة عليهم إلزام مباشر بمحاولة إنجاز التغيير.[١]

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن نايس يوضح سبب تسمية هذه الحركة بالحركة وليس الفلسفة ،وكذلك تسميتها بالعميقة فيقول:" لماذا نستعمل الصفة "عميق" ؟ سيكون هذا السؤال أيسر على الإجابة عندما نبين التعارض بين الاعتبارات الإيكولوجية الضحلة والعميقة. إن "الإيكولوجيا العميقة" ليست فلسفة بأي معنى أكاديمي دقيق ،كما لم تتأسس كدين أو أيديولوجيا .ما يحدث هو أن أشخاصا متنوعين يشاركون معا في الحملات والأفعال المباشرة، ويشكلون حلقة من الأصدقاء تدعم نمط الحياة ذاته الذي ربما يظنه آخرون "بسيطا" في حين أنهم يرونه غنيا ومتعدد الجوانب. كما يتفقون على مجموعة واسعة من القضايا السياسية على الرغم من أنهم ربما يناصرون أحزابا سياسية مختلفة. وكما في جميع الحركات فإن الشعارات والخطب لا مفر منها من أجل التماسك الجماعي يرد هؤلاء معا على التهديدات ذاتها بأسلوب لا عنفي غالب على سلوكهم .ولعل المشاركين الأكثر تأثيرا هم من الفنانين والكتاب الذين لا يعبرون عن تبصراتهم بلغة الفلسفة المحترفة بل بواسطة الفن أو الشعر، لهذا استعمل مصطلح حركة بدلا من فلسفة."[٢]

ومن الضروري توضيح الفرق بين الإيكولوجية العميقة والضحلة حيث يتحدد الفرق بينهما في الممارسة ،ويعدد الأمثلة التي تفرق بينهما مثل قضية التلوث والموارد والكثافة السكانية والتنوع الثقافي وأخلاق البر والبحر والتعليم والمشروع العلمي نذكر منهم مثلا قضية التلوث :حيث تنظر المقاربة الضحلة إلى أن "التقانة تسعى إلى تنقية الهواء ونشر التلوث

١-آرني نايس: حركة الإيكولوجيا العميقة: بعض الجوانب الفلسفية :ضمن كتاب مايكل زيمرمان: صـ٢٧٢

٢ -نفسه:صـ٢٧٧

بالتساوي، وتقيد القوانين التلوث المسموح به ،وتفضل تصدير الصناعات الملوثة إلى البلدان النامية.أما المقاربة العميقة للمشكلة فتقيم التلوث من وجهة نظر النطاق الحيوي وليس بالتركيز فقط على تأثيراته في الصحة البشرية ،بل وفي الحياه ككل بما في ذلك شروط الحياة لكل نوع من أنواع الكائنات أو منظومة الكائنات(....) فالأولوية للكفاح ضد الأسباب العميقة للتلوث وليس للتأثيرات السطحية قصيرة الأمد فحسب ."[١]

وبذلك فالفرق بينهما يكمن في إرادة التساؤل ،وتقدير أهمية التساؤل حول كل تدبير اقتصادي أو سياسي علانية .هذا التساؤل العميق والعام في ذات الوقت ،حيث ينبغي أن نسأل :لماذا؟ بإلحاح وثبات دون التسليم مسبقا بأي شيء."[٢]

** **النسوية البيئية:** النسوية الإيكولوجية أو الايكوفمنزم ،مصطلح يتم تداوله بشكل واسع ضمن الدراسات والكتابات النسوية وكذلك ضمن القضايا البيئية ،وهي فرع من فروع الإيكولوجيا الجذرية وفقا لتقسيم- مايكل زيمرمان-

تعتبر فرانسوا دوبون أول من استعملت هذا المصطلح في كتابها (النسوية أو الموت)عام ١٩٧٤م ،حيث ربطت بين ما أطلق عليه فكرة الهيمنة الذكورية والهيمنة على الطبيعة. و""للنسوية الإيكولوجية جذور في صلب حركات التغيير الاجتماعي التي تعاقبت بين ستينيات وسبعينيات القرن الماضي .وهناك العديد من النصوص بدءا بـ(الربيع الصامت)لراتشل كارسون١٩٦٢م،و(امرأة جديدةأرض جديدة)لروزماري ردفورد روثر ١٩٧٥م،و(المرأةالإيكولوجيا)لماري دالي ١٩٧٨م،و(المرأة والطبيعة: الهدير في داخلها)لسوزان غريفن ١٩٧٨م،وحتى (موت الطبيعة)لكارولين

١ -نفسه:صـ٢٧٨

٢ -نفسه:صـ٢٨١

ميرشنت ١٩٨٠م،التي أسست لما سيصبح لاحقًا منهجًا نسويًا مكتملًا يقارب الإيكولوجيا والبيئوية خلال فترة الثمانينات.وقد عقد مؤتمر (النساء والبيئة)الأول في جامعة كاليفورنيا ،بيركلي(١٩٧٤م) وتناول الاضطهاد المزدوج للمرأة والطبيعة ،ولحقه العديد من المؤتمرات فيما بعد."[١]

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن هناك تنوعا كبيرا داخل الحركة النسوية الإيكولوجية ،فكما تقول كارين.ج.وارين:" كما أنه ليس ثمة نسوية واحدة ،كذلك ليس ثمة نسوية إيكولوجية واحدة ،ويشير مصطلح النسوية الإيكولوجية إلى مظلة تغطي تنوعًا من المواقف التي تمتد جذورها إلى نظريات وممارسات نسوية مختلفة وأحياناً متنافسة .وتعكس المنظورات النسوية الإيكولوجية المختلفة منظورات نسوية مختلفة (مثلا النسوية الليبرالية، أو الماركسية ،والجذرية والاشتراكية والسوداء والمضادة للكولونيالية) كما تعكس إدراكات مختلفة لطبيعة المشكلات البيئية المعاصرة وحلولها."[٢]

ورغم هذه الاختلافات إلا أن هناك خطوطا عامة وملامحًا رئيسة يتفقن عليها ،حددتها كارين وارين في ثلاث نقاط وهم :

١-ثمة ترابطات دالة على الهيمنة غير المبررة على النساء ،وعلى الآخر البشري(أي البشر المهمشين والمستغلين والمسيطر عليهم) وعلى غير البشر من الحيوانات والنباتات والطبيعة.

٢-إن فهم الترابطات بين (النساء-الآخر البشري-الطبيعة)شأن مهم بالنسبة لكل من النسوية والمذهب البيئي والفلسفة البيئية.

٣-إن المشروع المركزي للنسوية الإيكولوجية يتمثل في استبدال بنيات

---

١ -غريتا غارد-لوري غروين:النسوية الإيكولوجية -نحو عدالة عالمية وصحية كوكبية:ترجمة عزة حسون:موقع معابر

٢ -كارين ج.وارين:مدخل إلى النسوية الإيكولوجية:ضمن كتاب الفلسفة البيئية :تحرير مايكل زيمرمان:الجزء الثاني:صـ١١

الهيمنة غير المبررة وإحلال بنيات وممارسات عادلة حقا محلها.[١]

يعتبر النسويون الإيكولوجيون القضايا البيئية هي قضايا نسوية والعكس، وهن يربطن بين الطبيعة والنساء ، كما يرون أنه "لم يعد من الممكن مناقشة التغيير البيئي من دون مناقشة التغييير الاجتماعي ،ولا يمكن مناقشة قمع المرأة من دون مناقشة قضية التدهور البيئي ."[٢]

ووفقا لهذه الفلسفة فهناك" ثلاث مقهورات(المرأة والطبيعة وشعوب العالم الثالث) وربطت النسوية بين تلك الثلاث بسلطة الرجل الأبيض المركزية ،وترى أنه لابد من ظهور فلسفة تنقض تلك المركزية الجائرة وتقر بقيمة تلك الأطراف وحقوقها،وبالتالي تصون الحقوق التي أهدرت للمرأة والطبيعة وشعوب العالم الثالث."[٣]

****الإيكولوجيا الاجتماعية :**

يقول موراي بوكتشين عن الإيكولوجيا الاجتماعية :"إن ما يحدد بالضبط (اجتماعية)الإيكولوجيا الاجتماعية هو إقرارها بحقيقة غالبًا ما تم تجاوزها ،وفحواها أن جميع مشكلاتنا البيئية الحالية تقريبا تنشأ عن مشكلات اجتماعية مستحكمة ،وفي المقابل لا يمكن فهم المشكلات البيئية الحالية بوضوح ،عدا عن حلها من دون التعامل المصمم مع المشكلات ضمن المجتمع، ولجعل هذه النقطة أكثر تعيينا نقول :إن النزاعات الاقتصادية والانثية والثقافية والجنسانية، من بين أخرى كثيرة تكمن في قلب معظم الاختلالات البيئية الخطيرة التي نواجهها اليوم."[٤]

لذلك لايمكن عزل المشكلات الاجتماعية عن المشكلات البيئية فذلك

---

١ –نفسه:صـ١٢

٢ –غريتا غارد–لوري غروين:النسوية الإيكولوجية:مجلة معابر

٣ –بسام حسن المسلماني:مصطلحات نسوية(النسوية الإيكولوجية أو الايكوفمنزم):مقال بمجلة لها أونلاين بتاريخ ١ديسمبر ٢٠١٥م

٤ –موراي بوكتشين:ما هي الإيكولوجيا الاجتماعية :الفلسفة البيئية ،تحرير مايكل زيمرمان:ص_٢٤٢

يعني إساءة فهم لمصادر الأزمة البيئية "فالطريقة التي تتعامل بها الكائنات مع بعضها البعض أمر جوهري لبحث الأزمة البيئية (...) فالذهنية التراتبية والعلاقات الطبقية التي تتخلل بعمق كبير المجتمع تؤدي إلى ظهور فكرة الهيمنة على العالم الطبيعي."[١]

ويتعمق هذا المذهب في مناقشة مفهوم الطبيعة والتراتبية الاجتماعية والروحانية والتكاملية الأخلاقية وفكرة الهيمنة على الطبيعة ،وغيرها من القضايا والمشكلات الاجتماعية ،وقد وصفت واعتبرت ضمن الإيكولوجيا الجذرية لأنها "تنظر في المشكلات الاجتماعية كي تكتشف جذور الأزمة البيئية. إن جذرية الإيكولوجيا الاجتماعية تكمن أولا في توجهها النظري وقوامه بحث جدلي في التحدد المتبادل لمجالين يتعذر فصلهما :الاجتماعي والإيكولوجي .وثانيا: تكمن هذه الجذرية في بعدها العملي وفي إلحاحها على خطورة الأزمة البيئية والحاجة إلى تحول اجتماعي جذري لكي نعكس المسار الإيكولوجي القاتل حاليا من تاريخ العالم."[٢]

هذه هي أهم الحركات والمذاهب الإيكولوجية الموجودة إلى الآن ، والتي امتد أثرها كما قلنا في الكثير من المجالات والعلوم، ومثلت هذه الأفكار أسسا للتعامل مع البيئة .

(١١٥)الإسلام والبيئة:**

تشترك كل المذاهب والحركات والفلسفات البيئية السابقة الذكر وغيرها في توجيه النظر إلى بقية شركاءنا في الكون، وإلى نبذ المادية والنفعية المسيطرة على البشري والتي تتحكم في كل علاقاته بالآخر سواء أكان هذا الآخر بشريا أو غير بشري.

والمتأمل في الدين الإسلامي يلحظ أن له فلسفته الخاصة والمتميزة

---

١ -نفسه:صـ٢٤٣

٢ -جون كلارك: قضية الحرية: دروس نسوية إيكولوجية للايكولجيا الاجتماعية: الفلسفة البيئية: تحرير مايكل زيمرمان:صـ٢٦٨

والسباقة في التعامل مع الكون ،بدءا من توجيه نظرنا إلى وجود آخرين يعيشون على هذا الكون ولهم لغتهم الخاصة وحياتهم الخاصة التي تتقاطع معنا ولاشك ،فالله عز وجل يقول : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) الأنعام :٣٨

وما قسم الله بالكثير من موجودات الطبيعة كالشمس والقمر والسماء والطور وغيرهم الكثير إلا تنبيها لنا بوجود آخرين على هذا الكون . ولم يكتف الإسلام بتنبيهنا فقط لإدراك بقية الشركاء بل وضع سياسات للتعامل معهم، فالإنسان مستخلف في الأرض ،وقد ميزه الله بأمور كثيرة أهمها العقل ومعنى ذلك وجود تراتبية ،لذا فلسنا مع المساواة التامة التي نادت بها بعض المذاهب البيئية ،ولكن في نفس الوقت وضع لنا الإسلام قواعد للتعامل مع الطبيعة أساسها الوسطية في التعامل مع كل شيء وعدم الإسراف والتبذير في استخدام أي شيء، وحثنا على مراعاة حقوق الحيوانات، حتى في ذبحها، بل وأغلظ العقوبة لمن يحرم الحيوانات حقوقها، كالقطة مثلا(كما ورد في الحديث النبوي ،حيث دخلت امرأة النار في قطة لأنها حبستها وحرمتها الطعام) ونلاحظ هنا أن العقوبة مغلظة ،هذا مع الحيوانات ،أما النباتات فقد حثنا الدين الإسلامي على الزراعة غير المرتبطة بمنفعة البشر ، والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها)،وقال أيضا: "ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ،وما سرق منه له صدقة ، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة ، ولا يررزؤه أحد إلا كان له صدقة." رواه مسلم.

و حتى في أوقات الحرب سن لنا الدين الإسلامي تشريعات تتعلق بالتعامل مع الطبيعة ،فكان صلى الله عليه وسلم يوصي أمراء جيوشه فيقول :اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا ... ولا تقطعوا نخلا ولا شجرة ولا تهدموا بناء) ،وهناك العديد والعديد من الشواهد الدالة على

منهجية الإسلام في التعامل مع الطبيعة والكون بمكوناته والتي لا تتسع لها هذه الصفحات لرحابتها وتفاصيلها المتعددة . وهي للحقيقة المخزية تختلف عن فعل المسلمين . وجدير بالذكر أن بعض المذاهب البيئية الغربية أشادت بمنهج الإسلام تجاه الطبيعة .

وخلاصة الأمر فإن ما يمثل هدفا مشتركا بيننا وبين هذه المذاهب هو الاهتمام بشركاء الإنسان على الأرض أي بالمجتمع الحيوي في الكون ،ولنا أن نستعيد المنهج القرآني ونسن منه الاستراتيجيات والقوانين المختلفة التي تساهم في حماية الطبيعة وحماية الأجيال الحالية والأجيال القادمة من الكوارث البيئية المختلفة التي نشأت من فساد الإنسان ،وصدق الله حينما قال في كتابه : "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس "

(٢)النقد الإيكولوجي في الغرب :(المفهوم-النشأة-الموضوع)

تعددت العريفات الخاصة بمفهوم النقد الإيكولوجي حيث حرص النقاد الإيكولوجيون على تعريفه وتحديده فقد عرفه الناقد جو موران قائلا:" النقد البيئي هو مبحث تنضوي تحت لوائه تلك النظرات الجديدة في الجغرافيا ، والتي تعرف بالجغرافيا الثقافية ،وكذا في علم الأحياء ،بالإضافة إلى مختلف مباحث العلوم الإنسانية .ومن الممكن أن نقوم بتعريف ذلك النوع من النقد تعريف غير متخصص فنقول إنه يهتم بمعالجة العلاقة بين الأدب من جهة وغيره من أنواع الثقافة والمباحث التي تهتم بالعالم الطبيعي من جهة أخرى. وغالبا ما تمتزج المعالجة باهتمام برفع الوعي بالقضايا البيئية."[١]

وبالتالي يمكننا القول بأن "النقد البيئي يعني بالعلاقات بين الأدب والبيئة أو كيفية تمثيل علاقات الإنسان ببيئته المادية في الأدب."[٢] ، أوكما

١ -جوموران: العلم والمكان والطبيعة في النقد البيئي :صـ٤٠٢

٢ -جيليكا توشيتش:النقد البيئي (دراسة بينية في الأدب والبيئة):ترجمة سناء عبد العزيز:مجلة فصول:العدد(١٠٢):المجلد(٢١٢٦):صـ٣٢٨

يقول جميل حمداوي عنه هو"ذلك النقد الذي يهتم بدراسة النصوص والخطابات الأدبية والابداعية في ضوء نظرية بيئية إيكولوجية "[١]

من نقاد البيئة الأكثر شهرة :لورانس بويل ،ويليام روكيرت، شيريل وجلوتفيلتي، سيمون استوك، هارولد فروم، ويليام هاروت، مارشال بي براتس، سولن كاهيل.

ومن البدهي التساؤل حول أهمية الخطابات البيئية اليوم عن ذي قبل ، وما ذلك إلا للمستجدات الحادثة في العالم الناشئة عن الممارسات البشرية الهادمة للطبيعة والمدمرة لها حيث يقول الناقد البيئي لورانس بويل عن ذلك:" خلال الثلث الأخير من القرن العشرين أصبحت البيئة تحتل صفحات الأخبار الأولى ،ومن المحتمل عاجلا أو أجلا أن نهاية العالم تقترب بسبب كارثة بيئية غير مقصودة (..)وهناك قلق من الجمهور الغربي (في البداية)والذي امتد للعالم أجمع الآن حول حالة ومصير البيئة ،ولقد أعطيت جائزة نوبل للسلام عام (٢٠٠٤م) للناشطة البيئية الكينية وانجاري – ماثاي(Wangari-maathi) وهي العلامة الأخيرة الدالة على تصاعد الاهتمام العالمي بمشكلات البيئة ، في حين كان (الحرب ضد الإرهاب هو الذي احتل المرتبة الأولى منذ ١١ سبتمبر٢٠١١م ،لقد كان التقدم يمثل مشكلة متزايدة بشأن الصناعة الحديثة ،وعدم قدرة المجتمع على إدارة مخلفاته البيئية."[٢]

وهذه المخاطر ليس محميًا منها مجتمع دون آخر أو طبقة دون أخرى لذلك نجد أن"أولريش بيك وراشيل كارسون (Rachel carson,ulrich Beck) أطلقوا مصطلح (التحديث الانعكاسي reflexive modernizationبمعنى الخوف من أنه حتى الطبقات المميزة في العالم

١ –داجميل حمداوي:النقد البيئي أو الإيكولوجي:شبكة الألوكة

٢ –لورانس بويل:مستقبل النقد البيئي(الأزمة البيئية والخيال الأدبي):بلاكويل :٢٠٠٥م:صـ٥
Lawrence Bwell:The future of environmental criticism:Blackwell:2005

تسكن عالميًا مجتمع الخطر ،الذي لايمكن التنبؤ به وحسابه."[١]

ولقد اتضح في العقد الأخير من القرن العشرين أن "المشكلة الكبرى للقرن الواحد والعشرين ستكون هي بقاء الأرض، الإنسان يشعر بالتهديد الحيوي في العالم المتدهور بيئيا ،فقد أدى الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية وإهمال الإنسان للماء والهواء والتربة التي تدعمه إلى ظهور مشكلتي بقاء الإنسان وبقاء كوكب الأرض . كما اتضح أنه في نهاية القرن العشرين أن على الجميع أن يفعلوا شيئا لمساعدة الأرض على البقاء لذا يعد النقد البيئي أحد الطرق التي يقاتل الإنسانيون بها من أجل العالم الذي يعيشون فيه."[٢]

وقد جذبت القضايا البيئية الفنانين والأكاديميين مما أدى لظهور برامج الدراسات البيئية متعددة التخصصات (...)ورغم أن علماء الطبيعة والاجتماعيين حتى الآن هم اللاعبين الرئيسين في هذه البرامج ،وأعداد كبيرة من الإنسانيين تم جذبهم أيضا. وعلماء الأدب الذين اتخذوا المنعطف البيئي في الثمانينات والتسعينيات وجدوا أنفسهم يدخلون في محادثات عبر التخصصات مع علماء المناخ ،وعلماء الحياة ،ومتخصصي السياسة العامة والجغرافيين ،وعلماء الأنثربولوجيا ،ومهندسي المناظر الطبيعية ،والمحامين البيئيين ،حتى علماء الرياضيات التطبيقيين والمهندسين البيئيين."[٣]

بدأ النقد البيئي "كحركة مستقلة أو كمدرسة مستقلة في النقد الأدبي في التسعينيات ،وفي مرحلته الأولى على وجه الخصوص كان بؤرة تجمع النقاد الأمريكيين الذين يتعاملون مع الأدب الأمريكي حصرًا ،وقد أسسوا جمعية لهم باسم:ASLE (جمعية دراسة الأدب والبيئة) ومجلة ISLE(دراسات بينية في الأدب والبيئة) كنوع من الدعم الجاد لنظريتهم ومحاولة لإثبات

١ -نفسه:صـ٥

٢ -جيليكا توشيتش:النقد البيئي:صـ٣٢٨

٣ -نفسه:صـ٦

نتائجهم وإمكانية التثبت منها."[١]

ولقد أصبح النقد الإيكولوجي ضرورة ملحة فهو يعتبر كما تقول جيليكا توشيتش " جزءًا من العولمة السائدة في العالم ،ويتطلب على مستوى الإبداع وعي المبدع فهو من خلال لاوعيه يتحرك نحو الجهد الواعي لخلق عمل فني تساعد بنيته على تشكيل اللاوعي في المتلقي أو اللاوعي المكاني في حالة الإيكولوجية (..) وبعبارة أخرى على مستوى الوعي اللاواعي من الضروري أن نتساءل أو نغير مواقف المرء حيال الطبيعة وكافة الكائنات الحية الأخرى ،فمن الضروري أن نتساءل أو نغير مواقف المرء حيال الطبيعة وكافة الكائنات الحية الأخرى."[٢]

وبالتالي فهو يمثل مسئولية مجتمعية ،على المبدع والناقد حملها لتوعية الإنسان بدوره تجاه شركائه في الكون .وتعريفه بمكانته ومكانه وسط الكائنات الأخرى.

<u>أسبقية اهتمام الأدب بالطبيعة :</u>

قد يتخيل البعض أن الأدب لم يهتم بالطبيعة ولم يبحث في مفهومها وعلاقة الإنسان بها ،وكينونة محتوياتها إلا مع ظهور الفلسفات الإيكولوجية المختلفة. وقد يتخيل البعض أن الفلسفة الإيكولوجية بمذاهبها المختلفة والحركات الإيكولوجية المختلفة قد سبقت الأدب في اهتمامه بالطبيعة ،ولكن هذا الكلام يجافي الصحة ويبتعد عنها ، فالخطاب البيئي ليس وليد هذه اللحظة ،ولكنه قديم جدا ،ويدلل لورانس بويل في كتابه مستقبل النقد البيئي[٣] على أن الخطاب البيئي قديم جدا ،فأقدم قصص البشرية كانت عن خلق الأرض ،لذا فالخطاب البيئي متين ومتنوع على حد سواء ، وذلك يدلل

١ –جيليكا توشيتش :النقد البيئي(دراسة بينية في الأدب والبيئة)ترجمة سناء عبد العزيز :مجلة فصول

٢ –جيليكا توشيتش:النقد البيئي:صـــ٣٢٨

٣–لورانس بويل :مستقبل النقد البيئي:صـــ١

على "أنه إذا كان النقد البيئي اليوم لايزال خطابا ناشئا فهو ذو جذور قديمة جدا ، فبشكل أو بآخر فإن فكرة الطبيعة كانت مهيمنة أو على أقل تقدير حظيت باهتمام باحثي الأدب والمؤرخين والمفكرين منذ ظهور هذه الحقول ، وهذا الموروث يستدعي أسئلة نلاحظ فيها كيف أن الانفصال عن الممارسة السابقة هو ما يمكن أن يكون جديدا ومختلفا حقا."[١] ويدلل على ذلك بوردروث الذي اعتبر شاعرا للطبيعة .

كما يناقش هذا الأمر الناقد مايكل برانش قائلا: "ولكن ثمة أسبابًا أقدم وأكبر من وراء تأثير الوعي البيئي على الدراسات الأدبية. فعلى الرغم من أن التفكير الفلسفي الإيكولوجي يبدو أحياناً غير مسبوق، إلاَّ أن هناك تراثًا هامًّا لمثل هذا التفكير ضمن مجال الفن الأدبي."

وقد حدد مايكل برانش هذا التراث في أربعة نقاط وهم:

"**أولاً:** إن الأسئلة حول الدور المتميز للبشر في المخطط الكوني قد شغلت الخيال الأدبي دومًا، والاهتمامات بالحفاظ على علاقة قوية بالطبيعة أو بتجديد هذه العلاقة كانت حاضرة في آداب الثقافات كلِّها، سواء كرمز أو كموضوع. فعلى سبيل المثال، عندما تُفتتح مسرحيةُ أوديب ملكًا بمشهد الوباء المنتشر في الأرض، ويبدأ الكتاب المقدس بمشهد طرد آدم وحواء من الفردوس، وتبدأ الكوميديا الإلهية عندما يكون دانتي متوغلاً في الوحشة المرعبة للغابة المظلمة، فنحن نفهم من ذلك كلِّه أن اللياقة الأخلاقية للسلوك الفردي تُتصوَّر مجازيًّا بلغة سلامة الطبيعة وتوازُنها.

ثانيًا: لقد صارع الأدب دومًا أسئلةَ القيمة المتوافقةَ مع تلك الأسئلة التي تطرحها الفلسفةُ الإيكولوجية. فعلى سبيل المثال: هل ينبغي تقدير البشر كمخلوقات الله، كما يقترح ملتون، أم كمخلوقات الطبيعة، كما يقترح روسُّو، أم كمخلوقات الثقافة، كما يقترح هنري جيمس؟ هل ينبغي الخشية من حالة

١ -نفسه:صـ٣

البرية wilderness، كما في تـأويلات البيوريتـانيين للكتـاب المقـدس، أم ينبغي دراستها علميًّا، كما هي الحال مع عقلانـي التنـوير، أم ينبغـي إجلالها، كما هي الحال عند الشعراء الرومانسيين؟

ثالثًا: لقد عُني الأدبُ دومًا بإبداع الإحساس بالمكان وتجـدده. فعلـى سبيل المثال، إن إنكلترا الجديدة New England عند فروست والمسيسيبي عند فوكنر هـي موضـوعات subjects أعمـالهم أكثـر منهـا مجـرَّد خلفيات settings لها. فالإحساس القوي بموضعة الانفعال يتولَّد من تقارُب النطـاقين الطبيعـي والفنـي، ذلـك النـوع مـن أدب الإقلـيم الحيوي bioregional literary الذي يعيد عِبْرَه الكاتـبُ خياليًّـا سُـكنى موضع بعينه.

رابعًا: ثمة مقدار ضخم من الأدب تعامَل صراحةً مع الطبيعة، سواء بغرض التأمل في مكانتنا كبشر ضمنها أو لاستكشاف جمالها والتعبير عنه، بصرف النظر عن الاعتبارات البشرية. لقد ولد كل مـن الأدب والفلسـفة الإيكولوجية من لقاء بين الطبيعة والثقافة: فكل منهما يستكشف في عمـق، وغالبًا ما يتساءل في عمق، عن العلاقات بين البشر وبيئاتهم الطبيعية."[١]

ويرى مايكل برانش أن " النظرية والممارسة الأدبيتين اضطلعتا أيضًا بدور في تشكيل تصوراتنا الثقافية عن البيئة. بالفعل، حتى المقولات الجمالية التي نفهم بواسطتها مشاعرنا نحو الطبيعـة، كالجميـل والفـاتن والجليـل والمشهدي والبرِّي، قد عُرِّف بها على نطاق واسع من خلال استعمالها فـي السياقات النقدية والأدبية. ففي نظر الإغريق الأوائل، كان العمل الفني ذاتـه الاستعارةَ المركزية عن الطبيعة. وبرؤيته من وجهة نظـر نظريـة أدبيـة

١ – مايكل برانش Michael Branch: (أستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة فرجينيا ومن الـرواد فـي حقل النقد الإيكولوجي.): النَّـقـد الإيكولوجي الطَّـبيعـة في النظريَّـة والممارسـة الأدبيَّتـين: ترجمـة معـين روميـة: مجلـة معابر الاليكترونيةhttp://www.maaber.org/issue_june08/literature2.htm

فلسفية إيكولوجية، فإن النصَّ الأدبي ربما يشبَّه فعليًّا بمنظومة إيكولوجية ecosystem: فهو كلِّية وظيفية يتم إنجاز أغراضها من خلال التكامل بين عناصرها المقوِّمة؛ وإن تعقيدها اللافت ليس له غرض وحيد، بل ربما يقال إنه يوجد لأجل تنوع من الغايات في وقت واحد: فهو يعرَّف به، إلى حدٍّ ما، عبر تفاعلاته مع النصوص والسياقات الأخرى؛ ونحن باستمرار نبحث فيه لمعرفة مَن نحن وكيف نحيا في هذا العالم."[١]

وإذا كانت للآداب الغربية علاقة بالطبيعة واهتمام بها ،فالعلاقة تبدو لنا أكثر وضوحًا في الآداب العربية القديمة منها والحديثة ،قد يحتاج الحديث عنها لصفحات كثيرة ،وهو ما تم رصده في أبحاث كثيرة جدا. والثابت لدينا أن البيئة كانت مكونًا انتاجيًا هامًا للشعر العربي ،وكذلك كان للطبيعة أثرها الكبير على الشعراء وعلى قرضهم للشعر. وقد لاحظ النقاد العرب القدامى هذه العلاقة القائمة بين الأدب والطبيعة كابن سلام الجمحي وابن قتيبة والجاحظ وغيرهم . ولكن هذا شيء طبعي في الآداب العربية القديمة نظرًا للعلاقة الوطيدة والمباشرة بين الإنسان العربي وبين الطبيعة .وهي علاقة لم تعد موجودة –كالسابق– في معظم البلاد العربية والغربية ،خاصة مع العولمة وسيطرة التكنولوجيا والآلة والمادية والنفعية على العالم ،وتغير النسق القيمي والاجتماعي بشكل كبير ،لذا تبدو إعادة النظر في هذه العلاقة هامة ،وإحياءها من جديد وتسليط الضوء عليها ،والتوعية بمكانة الإنسان كجزء من الطبيعة لا كمسيطر على الطبيعة .وهو ما نجده في الحركات والمذاهب الإيكولوجية المختلفة .

النقد الأدبي والبيئة:

حاول النقاد البيئيون إيجاد صلة بين النقد الأدبي من جهة وبين البيئة من جهة أخرى ، وذلك غير كون البيئة مجالا للدراسة والتحليل، فنجد مايكل

١ –نفسه

برانش يذكر العديد من الأمثلة التي يعتبرها دليلا على" التماثلات المثيرة بين الفلسفة الإيكولوجية والنظرية الأدبية ما بعد البنيوية post-structuralism. يُشتق معظم هذه التشابهات من المقدمة الأساسية للفلسفة الإيكولوجية حول الترابط البيني interconnection، الذي غالبًا ما تراه النظرية ما بعد البنيوية كتناصٍّ intertextuality. ويموضع الفلاسفةُ الإيكولوجيون القيمةَ في الكلِّيات الطبيعية وفي العلاقات التبادلية التي تشكِّلها." وهو يرى أن النظرية ما بعد البنيوية تهدف " إلى «تفكيك الخطاب الكولونيالي والشمولي»؛ وهي ترغب في تغيير خطاب السيادة بأنواعه جميعًا وإحلال الخطاب السياقي محلَّه، الذي تمثِّل له أفضل ما يمكن تعدديةُ الأصوات. في نظر درِّيدا، يتم إنجاز هذا الأمر عبر «اللعب الحر»، أي التفاعل اللامتناهي للدوال، أي «تمزيق الحضور». في التفكيك deconstructionism الذي يقدمه درِّيدا، يُنظَر إلى إبطال مركزية الذات البشرية (أو بشكل أدق إلى عدم التمركز) على أنه أساسيًّا إعتاق، «توكيد يقرِّر اللاَّمركز بأكثر من كونه فقدانًا للمركز». وعلى نحو مشابه، يجادل ميشيل فوكو بأن فكرة «الإنسان»، على الأقل وإلى حدٍّ بعيد باعتبارها تشير إلى مركز معزول للسلطة والقيمة، هي بنية تاريخية بائدة ينبغي أن يخلفها معنى سياقي للهوية أكثر اتساعًا." [١] وهذا المحتوى هو ما يدور حوله الفلسفة الإيكولوجية التي تنفي المركزية البشرية وتهاجمها وتستعيض عنها " بتوكيد لقيمة الكلِّيات المنظومية الإيكولوجية. «الإيكولوجيا العميقة» deep ecology عند نايس، و«الإيكولوجيا العبرشخصية» transpersonal ecology عند فوكس، و«المقاومة الإيكولوجية» عند رودمان، و«فلسفة الإيكولوجيا» عند كاڤالوي، و«أخلاق الأرض المستدامة» عند ميلِّر، جميعها تنصبُّ على أزمة إدراك السلطة. وفقًا لهؤلاء الفلاسفة الإيكولوجيين، سببت المركزيةُ البشريةُ

١ –نفسه

استغلالاً وهيمنةً جائرين على العناصر الأخرى في مجتمع المنظومات الإيكولوجية. تكمن نسخة الفلسفة الإيكولوجية من «تفكيك الخطاب الكولونيالي والشمولي» في مقاومتها الأخلاق البطلمية النابعة من نظرية للقيمة متمركزة بشريًّا. فالنظرة إلى العالم المتمركزة إيكولوجيا، كما هي حال النماذج التي نشرتْها نظريةُ ما بعد البنيوية، ثورية بما أنها تسعى في كسر التراتبية hierarchy الراسخة وفي إعادة توزيع السلطة والقيمة بين كلِّ عناصر المنظومة، أو نسبتها إلى الفعالية التكاملية لتلك المنظومة ككل."[١]

ويخلص برانش من كل ذلك إلى نتيجة مفادها أن "الاهتمامات الفلسفية الإيكولوجية وثيقة الصلة بمتطلبات النظرية الأدبية المعاصرة"[٢]

ويأتي السؤال الذي يلح على الأذهان الآن وهو ما هي أجندة النقد البيئي ؟وكيف ستتجلى الاهتمامات البيئية في الممارسات النقدية؟؟

يحدد عدد من النقاد الإيكولوجيين مجالات اهتمام النقد البيئي وموضوعاته ، فيقول الناقد جو موران :"النقد البيئي له أجندة ثنائية فمن جهة نجده يعني بالظواهر الطبيعية التي عادة ما تعالجها الجغرافيا وعلم الأحياء ،كاشفا عن كون تلك الظواهر وليدة القوى الثقافية والتاريخية ،وعن كونها محملة بالمعنى والمجاز.ومن جهة أخرى فهو يدرس ما تتسبب فيه الثقافة من فصل بيننا وبين الطبيعة إذ توجد الثقافة دائما هيراركات تقوم على التمييز بين الإنسان وغيره من الكائنات."[٣]

يهتم النقد الإيكولوجي أيضا -كما يقول دونل دريس -بـ"دراسة مركزية المناظر الطبيعية في الشعر والنثر المعاصرين من قبل الكتاب ، والذين يحددوا من خلال القنوات الأسطورية أو النفسية أو الجغرافية المناظر

---

١ -نفسه

٢ -نفسه

٣ -جوموران: العلم والمكان والطبيعة في النقد البيئي: صـ٤٠٢

الطبيعية أو البيئية باعتبارها جوهرية تعكس تصور الذات .والأسئلة التي تطرح من خلال النصوص المختارة تتضمن :كيف يقدم المؤلف المشهد ؟ وما هو موقفه تجاهه؟ ما هو الاجتماعي السياسي أو جدول الأعمال الأخلاقي؟ إذا وجد مكان محدد يتحدث عنه الكاتب فكيف تتفاعل الشخصيات مع بيئتهم ؟هل هناك أي تضارب في هذا التفاعل؟"(١)

وتحدد الناقدة شيريل بورغس غلوتفلتي موضوع النقد الإيكولوجي في:" **الترابُطات بين الثقافة الإنسانية والعالم المادي، بين البشري وغير البشري. والنقد الأدبي الإيكولوجي هو ذلك الفرع من النقد الإيكولوجي الذي يركِّز تركيزًا خاصًّا على العناصر الثقافية: اللغة والأدب وعلاقتهما بالبيئة. إنه موقف نقدي يضع إحدى قدميه في الأدب والأخرى على الأرض.**"(٢)

ويعبر مايكل برانش عن الممارسة النقدية أدق تعبير قائلا:" يولي النقدُ الإيكولوجي انتباهًا متزايدًا للتمثيلات الأدبية للطبيعة؛ وهو حسَّاس للتواكلات interdependencies التي ترسِّخ المؤلِّف أو الشخصية أو العمل الأدبي ضمن المنظومة الطبيعية. تزيح هذه المقاربةُ التركيزَ النقدي من العلاقات الاجتماعية إلى العلاقات الطبيعية، وتنظر إلى الفرد كعنصر في المنظومة الإيكولوجية وفي نماذج التنظيم البشري. وتقيِّم هذه المقاربة عاليًا الإحساس الأدبي بالمكان، ليس كوسط، بل كتعبير عن الارتباط بسياق طبيعي محدَّد أو كاغتراب عنه؛ وكذلك تمتحن معمارية العلاقة التبادلية بين الأدب والشكل العضوي، وتنتظر من الأدب أن يقدم تأملاً حول العلاقة بين الطبيعتين البشرية وغير البشرية، وأن يقترح الأساليب التي ربما تكون كفيلة

---

١ – Ecocriticism:creating self and place in environmental and American Indian literatures:Donelle N Dresse:Petter lang publishing,newyourk:2002:P3

٢ –مايكل برانش: الطَّبيعة في النظريَّة والممارسة الأدبيَّتين

بإعـــادة تأويـــل هـــذه العلاقـــة أو بإصـــلاحها. إنهـــا مقاربـــة تكاملية integrative أكثر منها اختزالية reductive، بمعنى أنها تتطلع إلى إثبات كيف أن عناصر النصوص الأدبية تعمل سوية، أكثر مما تتطلع إلـــى تحليلها تحليلاً منفصلاً."(١)

نخلص من ذلك إلى أن النقد الإيكولوجي يهتم بدراسة العلاقـــة بـــين النص الأدبي والطبيعة وكيفية ظهور الطبيعة في النص الأدبي ،لذا فهو يهتم أكثر بدراسة العلاقات الطبيعية أكثر من العلاقات الاجتماعية ،حيث ينظـــر إلى الفرد كجزء من المنظومة الإيكولوجية . كما يهتم بدراســـة الظـــواهر الطبيعية والقضايا البيئية ،ويسعى للكشف عن المعاني المختلفة التي تحملها ،وعن دور الثقافة في صنع علاقة الإنسان بغيره في المجتمع الحيوي. ويهتم النقد الإيكولوجي بدراسة المكان ولكن ليس بالشكل التقليدي ،حيـــث يكـــون التعامل مع المكان باعتباره موضوع أو شخصية أكثر من كونه خلفية للعمل الأدبي.

(٢) تمـــثلات القضـــايا الإيكولوجيـــة فـــي روايتـــي (حـــرب الكلـــب الثانية)و(إسكندرية ٢٠٥٠)

(٣١١)حرب الكلب الثانية:

رواية الكاتب الفلسطيني إبراهيم نصر الله (حـــرب الكلـــب الثانيـــة) المغايرة في نهجها لرواياته السابقة، ولكنها ممتدة ومتصلة بهم في الـــرؤى، حيث تمثل هذه الرواية استشرافا للمستقبل وتحذيرا منه قائمًا علـــى قـــراءة الماضي و الحاضر ، يسطر إبراهيم نصر الله في روايته سطورا جديدة في روايات الخيال العلمي العربية .

وقد أكد في روايته على البينية بين العلوم المختلفة وعلى الصلات بين الأدب من جهة والعلم من جهة أخرى، حيث تجد في هذه الروايات بعـــض

الاختراعات العلمية التي قد تنتجها الأيام المقبلة والتي قد تسود مستقبلا، كما نجد مناقشة وعرض للمخاطر البيئية الحادثة نتيجة لما نعيشه الآن من إهمال وتدمير و قهر للطبيعة ، وأيضا نجد مناقشة للسلوك البشري القائم على العنف والإقصاء والأهواء والرغبات التي لا تحدها أي قيود دون اعتبار للآخر .

كل ذلك نجده في هذه الرواية بشكل متشابك وعميق ،لا يحده الأرض فحسب، بل هناك عوالم أو كواكب أخرى تجري عليها الأحداث.

ولعلنا نجد تلخيصا لهذه القضايا التي عرضتها الرواية من خلال عتباتها ،فهي تمثل بؤرة تنطلق منها وإليها متن السرد نفسه، فالكاتب يقتبس من الحكيم الاندونيسي ميهاربا هللارصن مقولته عن الأزمان الثلاثة وعلاقتنا بهم قوله: "ولكي أصدق ما يدور أرسلت بعض حوادثه إلى الماضي وبعضها إلى المستقبل فـ...أنت في الماضي والمستقبل أكثر مما أنت في الحاضر!"[١] وذلك يوحي بأن تفسير الحوادث المختلفة مرتبط أكثر بالماضي وكذلك بنواتج هذه الحوادث أي بالمستقبل ،وأن تفسيرنا الحالي له قد لا يكون حقيقيا أو مجانبا للصواب ،خاصة إذا لم نضع في اعتبارنا الماضي والمستقبل.

وتأتي العتبة الثانية التي تشكل تلخيصا للرواية كلها في المقدمة ويقول فيها الكاتب:" على نحو متسارع بدأ النهار يقصر بطريقة غير مفهومة ،وبمرور أقل من عشر سنوات ،لم يعد طول النهار أكثر من خمس ساعات. تزايدت معدلات نفوق الطيور والحيوانات ،وانحدر مستوى إنتاج الخضر والفواكه والحبوب ،وعاد الأغنياء إلى داخل المدن تاركين قصورهم. بيوتهم الفخمة في الضواحي بسبب انتشار **الفوضى** ،اختلطت الفصول بحيث تجمعت في فصل واحد .في وقت بدا فيه خلاص العالم لن يحدث إلا

١ ــإبراهيم نصر الله:حرب الكلب الثانية :الدار العربية للعلوم ناشرون: الطبعة الأولى ٢٠١٦م:صـ٥

بانضمام ما تبقى من دول إلى اتفاقية **إلغاء الماضي** ،وفي ضوء شح الموارد التجأ العلماء للإفادة من إنجازات علم الاستنساخ ،فاعتمدوا فكرة تكاثر الخلايا ،أو **التكاثر** بالنسخ لتوفير الحاجات الضرورية لاستمرار الحياة، في وقت احتكرت فيه القوى الكبرى تقنيات الضوء بحيث تجسدت الفكرة الأسطورية القديمة عن عالمي **الظلام والنور**، وفي ظل ضعف **الحكومات** تولت السيطرة على سير الحياة في البلاد وإدارة شؤونها مباشرة ما باتت تعرف باسم **القلاع**"[١]

في هذه المقدمة يلخص الكاتب أحداث الرواية ،بل ويحدد الثيمات الأساسية التي اتكأ عليها والتي تمثل مظاهر ديستوبية في الرواية ،وتمثل ماضي أدى إلى حاضر نعيش بعضه في الواقع ،ومستقبل قد نعيشه .

ويظهر الخيال العلمي في الرواية بقوة حيث الاكتشافات العلمية المختلفة التي أتاحت للآلة وللذكاءات الصناعية الدخول بقوة إلى عالم البشر ،وتحول الإنسان إلى كائن اليكتروني أو ما أطلقت عليه دونا هاراواي (السايبورج) والمقصود به ذلك التزاوج بين الإنسان والآلة[٢]

وقد ميز الكاتب هذه الكلمات الدالة من خلال تغيير حجم الخط عن بقية الكلمات للتأكيد على أن هذه الكلمات هي مفتاح الرواية ومدار السرد كله ،الرواية تتمحور حول (الفوضى _ إلغاء الماضي_التكاثر بالنسخ_الظلام والنور_ضعف الحكومات_القلاع)

تدور الرواية حول قضية أساسية وهي أن كل إنسان يريد أن يكون الأفضل والأحسن ويريد أن يحوز كل شيء ولايقبل التنوع،وبمعنى آخر كأن الكون كله مرتكزا حوله ،فهو المركز ولا يقبل أن يكون فردا في مجموعة يحترم اختلافهم ويحترمون اختلافه ،أو يكون نغمة في معزوفة

١ ــنفسه:صـــ٧

٢ –انظر:جو موران:العلم والمكان والطبيعة في النقد البيئي

موسيقية لا يظهر جمالها إلا بائتلاف واتحاد نغماتها. وهذه القضية عالجها إبراهيم نصر الله في روايته من جانبين (الإنسان،الطبيعة) فبين -كما سنرى-كيف أن اختفاء التنوع يفقد الحياة معناها بل ويحدث الكثير من الربكة. وخلال الرواية كلها سنلاحظ بشكل جلي صدى للكثير من الأفكار الفلسفية الإيكولوجية التي سبق وطرحناها في المبحث السابق.

****الشبه والتشبه:**

كل إنسان يرى نقيصة ما أو نقائص في نفسه ويتمنى أن يكون على شاكلة شخص آخر، يتمنى صفة ما فيه أو صفات . سار إبراهيم نصر الله في روايته (حرب الكلب الثانية) مع هذه الأمنية التي تمنيناها جميعا ،و بنى جزءا كبيرا من أحداث روايته على افتراضية تحقق هذا الحدث، ماذا لو كان بالإمكان تحولنا لأشخاص نريد أن نكون شبههم؟ ما الذي سيحدث؟؟؟ ما الذي سيحدث للأصل؟ وما الذي سيحدث للشبه ،أو لنقل للأشباه-إن كان الأصل مرغوبا فيه من كثير من الأشخاص-؟

** يبدأ نصر الله بناء هذه القضية بأحداثها المختلفة بالإشارة إلى أسس وجذور هذا الأمر متحدثا عن راشد (الشخصية الرئيسة في الرواية) قائلًا:" هو يريد أن يكون مثلهم، وهم لم يؤسسوا القلعة وأشباهها ،إلا لكي يكون أمثاله مثلهم ،والتاريخ الإنساني كما هو معروف مصاب بحمى الشبه والتشبه ،ليس فقط على المستوى الخارجي ،والذي نعني به عمليات التجميل التي بدأت على يد الطبيب الهندي سوسروثا في القرن الثامن قبل الميلاد ،بل الشبه النفسي ،أو السلوكي أيضا ،والذي سبق سوسروثا بأزمنة طويلة."[١]

إذن الرغبة في التشبه بالآخر موجودة على مدار التاريخ ووصفه إياها بالحمى دلالة على تشعبها وهستيريتها التي تجتاح الناس ،ولكن لم يكن أمام

١ -حرب الكلب الثانية:صـ٢٣

الناس سوى اختيارين لتحقيق ذلك وهما: التشبه السلوكي والنفسي ،فيحاول الناس تقليد بعضهم البعض في سلوكياتهم . وبعد ذلك بأزمنة طويلة ،ظهرت عمليات التجميل التي أتاحت للناس التشبه ببعضهم البعض (على مستوى الشكل)،وتعديل أشكالهم .

وكذلك يشير إلى هذه الطبائع المتجذرة في الناس قائلا:" من دراسته لطبائع البشر ،لاحظ راشد شيئًا آخر مهما :أن ليس هناك من إنسان إلا ومصاب بمرض ما ،أو أمل ما ،وأن كل واحد منهم يريد أن يكون مثل فلان ،والواحدة مثل فلانة ،ودائما يحددون الذي يريدون أن يكونوا مثله بدقة ، كما لو أنهم أمضوا عمرهم كله في البحث عنه ! (..)أكثر ما أزعج راشد أن كثيرا من الناس كانوا يريدون أن يكونوا مثله ،ولم يكن يعجبه أن يختاروا هم أن يكونوا أشباهه، لأنه كان يريد أن يكون هو صاحب القرار في أن يجعلهم بقوته، أو بنفوذه مثله ، أو لا يريد."[١]

وللقضية وجه آخر، ففي الوقت الذي نريد فيه أن نكون أشباه للآخرين في بعض صفاتهم ، نريدهم أن يكونوا على نفس رأينا ومنهجنا في الحياة وأهواءنا ،ولا نقبل الاختلاف بيننا. وهذا ما يطرحه نصر الله في مشاهد مختلفة ،ولذلك يسأل قائلا: على أحد أن يفهمنا ماذا يريد الإنسان حقا؟

كما تبدو معالم عدم قبول الآخر في مظاهر متعددة منها "قيام أحد المتحاورين في برنامج تلفزيوني بقتل الآخر،على الهواء مباشرة بسبب اختلاف في الرأي، أو باختصار ،لأنه لم يكن نسخة عنها."[٢]

نقول في أمثالنا العربية عن المتشابهين شكلا(يخلق من الشبه أربعين). وهذا المثل العربي وظفه الكاتب في الرواية فألقى به وسط حديث بين (راشد وأمه) حينما عبر لها أنه يتمنى لو تزوج من شبيهة زوجته .

١ -نفسه:صـ٤٨

٢ -نفسه:صـ٣٣

وكان حديثه حينها مع أمه (طرفة) ولكن الطرفة قد تتحول إلى (مأساة).

وافترض الكاتب أن هذا المثل تحقق فعلا ،ماذا لو كان هناك أربعين شخصا أو أكثر يشبهون الشخص نفسه؟؟؟

يقول في الحوار الدائر بينه وبين أمه: "وفي محاولة منها لإعادة الدمع إلى منابعه ،بحثت عن طرفة ،ووجدتها.التفتت إلى راشد وقالت له: هل تتذكر صباحية زواجك ،وكيف طلبت الزواج من أخرى تشبه امرأتك ،بعد أن استبعدت أختها مرام لأن ذلك لا يجوز شرعا ؟

-أذكر .

نشرت نصف ابتسامة على شفتيها ،كما كانت تنشر قطعة ملابس بالية على الحبل .

-وهل مازلت تبحث؟

-لم يتوقف بحثي منذ ذلك اليوم ،قال،وكأنه شخص آخر لايعرفه!

-صحيح؟!

-صحيح.

- لو كان الأمر كذلك لتزوجت واحدة تشبهها منذ زمن طويل دون أن تستشيرني،وليس ذلك صعبًا ، مادام الناس يقولون ،إن الله يخلق من الشبه أربعين! ونشرت قطعة بالية أخرى من الملابس على الحبل ! واقتربت منه وقالت: صحيح ؟!صحيح؟!

لم يجب .

في تلك اللحظة أحست والدته أن قدميها هوتا في الطين ،وأن الألوان اختفت ،وأن الطرفة في طريقها لأن تتحول إلى مأساة ،طال الوقت أو قصر!"[١]

١ -نفسه:صـ٣٢

ويبدأ راشد في تحقيق تلك الافتراضية حينما أخذ صورة جميلة لزوجته (سلام) ثم أخذ السكرتيرة وهي خليلته، وطلب من أحد الأطباء [١]– الذين يعملون على جهاز يحول الإنسان إلى نسخة عن الصورة التي يريدها– تحويل السكرتيرة إلى تلك الصورة.

وبالفعل تحولت إلى شبيهة زوجته ،وأغرم الناس بها بشكل لافت ،حيث كان لها سحر –لم يستطع تفسيره– مما لم يكن موجودا لدى زوجته. إلى هذا الحد كان الموضوع مقبولا بالنسبة له لأنه كان في حدود ضيقة جدا. ولكن تحولت هذه (الطرفة)إلى (مأساة) حين كثرت الأشباه .وبالطبع شمله هذا الأمر حيث تشبه به الراصد الجوي الذي يسكن في نفس عمارته ،وكذلك سائقه ،وكان هناك شبيهات كثر لزوجته.

يظهر في المقطع السردي التالي حجم الربكة التي أحدثها هذا الأمر لبعض الناس على الأقل: "أحب أن أخبرك أن بعض الأشياء التي تحدث معك تحدث معي ،بل تحدث مع عدد غير قليل ممن أعرفهم ،فالأشباه باتوا يظهرون في أماكن كثيرة ،وإن كان بعض الناس يتكلمون عن هذا كطرفة ،ولكنني بصراحة بدأت أرى فيه ملامح مأساة ما ،لم أفهمها بعد .وهناك أناس لا يتكلمون ،وأحس بأن لديهم ما يخفونه ،وبصراحة أشعر أن هؤلاء قد اختصروا الطريق وتعاملوا مع الأمر كمأساة منذ البداية، وإذا ما أردت رأيي ،فإنني أصدق صمت هؤلاء لا ضحكات أولئك."[٢]

ونتيجة لذلك زاد القتل بقوة حيث قرر[٣] الناس التخلص من أشباههم، وتطور الأمر إلى قيام حرب الكلب الثانية، التي راح ضحيتها ربع مليون مواطن .

يعرض إبراهيم نصر الله بالتفصيل السلبيات الكثيرة الناجمة عن هذا

---

١ –انظر:صـ١٠٣

٢ –نفسه:صـ١٦٥

٣ –نفسه:صـ١٩٤

التشابه .فالابنة لم تعد تعرف والدها ،والزوج لم يعد يعرف زوجته ، ولا الزوجة تعرف زوجها [١]. وهناك من يرتكب الجرائم ويعاقب عليها الأشباه ...الأمور كلها اختلطت ،أصبح الناس متشابهين تماما . وامتد الأمر إلى **الطبيعة** التي أصبحت فصلا واحدا ،وأصبحت الفواكه والخضروات والطيور تشبه بعضها البعض ،وفقدنا جمال التنوع . وكأن نصر الله يؤكد على روعة التنوع وجماله ، وروعة الاختلاف الذي لن نعي جماله إلا إذا فقدناه. يظهر ذلك من الحوار الدائر بين راشد وصاحب محل الخضروات : "ناوله البائع كيسا ،نظر راشد إلى أكوام الخضر والفواكه ،وارتبك.

– لا ترتبك يا سيد راشد ،هذا الأمر يتكرر في الأسابيع الأخيرة مع كثير من الناس، وبخاصة الرجال الذين لا علاقة لهم بالمطبخ .أنت لا تستطيع التفريق بين الخيار والكوسا ،ولا بين الطماطم والتفاح ، ولا بين البطاطا والجوافة ،أليس كذلك؟!

هز راشد رأسه ،مؤكدا ما يقوله البائع .

– مشكلتنا يا سيد راشد أن الفواكه باتت تشبه بعضها بعضًا إلى حد كبير ، وأخشى أن يأتي يوم تصبح فيه متشابهة تماما ،بحيث لا نعود قادرين على معرفة البرتقال من الخيار، والموز من العنب.

– هل تعتقد أن هذا التشابه يمكن أن يتطور إلى هذا الحد ؟

– سيد راشد ،عليك أن تسير عشر خطوات لا أكثر وتنظر داخل المحل الذي يبيع الطيور ،سترى العجب حقًا هناك.

– ما الذي تعنيه؟

– لقد باتت الطيور تشبه بعضها بعضًا، لقد تفوقت على الخضر والفواكه والحمضيات وغير الحمضيات في ذلك ! إنها في طريقها لأن تصبح نوعًا

١ –انظر المأساة الأولى حيث أقامت سلام علاقة مع شبيه زوجها(الراصد الجوي)ظنا منها أنه زوجها (صـ ١٧٧) ،وانظر كذلك مشهد سلام وشبيهتها النادلة ،والطبيب وشبيهه صـ١٨٨

واحدا .ولكن أكثر ما يخيفني هو كيف غدت الأرانب تشبه الكلاب ،بدل أن تشبه القطط!

- لابد أنك تحاول حكاية طرفة في هذا الصباح لأغدو من زبائنك الدائمين.
- بل أحاول أن أقول لك إن هنالك مأساة تتقدم ،وأرى أن الكثيرين لا يدركون ذلك."[١]

ما الذي حدث بعد أن تحقق ما كان البشر يريدونه ، هذا ما يظهر لنا وما يعالجه الكاتب في أكثر من مقطع سردي وحواري :

- في حديث بين راشد وسائقه المتشبه به يقول السائق:" حتى الاختلاف في الرأي حول أي مسألة ! كان الواحد منهم يريد أن يكون الناس كلهم مثله ،مثله تماما ،أو كما قيل :على شاكلته ! يفكرون كما يفكر ،ويعملون ما يعمل ،والآن تفضل وانظر لما يحدث ،لقد أصبحوا يشبهونه ، فماذا فعل، هل احتضنهم ؟ لا بل قتلهم!"[٢]

وأيضا في حوار بين راشد وسلام: "تعرفين يا سلام ،أصعب شيء في العالم أن يجد المرء نفسه مع نفسه وجها لوجه ،ومنذ أن قال سقراط :اعرف نفسك ،أدخل الإنسان في أكبر اختبار على سطح هذا الكوكب ،بل أكبر تحد، لأنه كان يعرف أن ذلك لن يحدث ،وإذا بالأيام تدور لنجد أنفسنا وجها لوجه مع أنفسنا ،دون أن نعرف شيئا عنها ،بل إنها باتت غامضة أكثر .أتعرفين ما الذي يثير دهشتي؟ ما يثيرها حقا ،هو أن الإنسان يمكن أن يتقبل وجود شبيه لغيره، لكنه لا يتقبل وجود شبيه له، فالذين يقتلون بعضهم بعضا منذ الظهيرة السوداء لهذا اليوم هم الأشباه لا المختلفون، لابد أنك تابعت ما يدور ،وهذا أمر غريب كنا نشهد في الماضي عكسه .هل أقول قبل الحرب الكلب؟ أظن أن علينا يا سلام أن نتحد الآن ،فالحرب التي أحس بأنها على وشك أن

١ -نفسه:صـ١٦٨

٢ -نفسه:صـ١٩٦

تطرق أبوابنا ليست سوى حرب الكلب الثانية ،ولكن الأشباه هم من سيشعلونها ،وهذا هو أشد الأمور غرابة بالنسبة لي ،لأن البشر لا يريدون المختلف ولا يريدون الشبيه ،وعلى أحدهم أن يقول لنا بوضوح ما الذي يريده الإنسان."[١]

الديستوبيا البيئية:

اهتم إبراهيم نصر الله في روايته –كما أشرنا–بعرض قضايا البيئة ،ونظر للكون ليس باعتبار الإنسان هو مركزه كما يرى هو، بل باعتبار أن الإنسان مكون من مكونات البيئة والكون جنبا إلى جنب مع مكونات أخرى منها الحيوانات والنباتات وغيرها، ولكن الإنسان طغى وتجبر على كل الكائنات الأخرى ،فظلمه امتد ليشمل البيئة والطبيعة ..فغضبت الطبيعة نتيجة لذلك، وكانت الديستوبيا البيئية .

ويعرض لهذا الأمر بتفصيل كبير من خلال حوار تلفزيوني بين أستاذ علم الاجتماع وبين أستاذ علم الأحياء التطوري، ونعرض جانبا من هذا الحوار يلخص الأمر حيث يقول أستاذ علم الأحياء التطوري: "علينا أن لا ننسى أن الطبيعة غاضبة، غاضبة تماما منا ،فما نراه من طول الليل وقصر النهار ،واختلاط الفصول ،كلها دلائل على ذلك، فإذا كانت الفصول قد اختلطت في فصل واحد ،فما الذي يمنع أن يصبح البشر كلهم على صورة رجل واحد ؟ أو أن يكونوا في النهاية على صورة حيواناتهم ؟ (...) لقد أزعجنا هذا الكوكب بما يكفي ،وكل ما أتمناه أن تكون أنت وأنا وكل المشاهدين في النهاية على صورة الكائنات الأخرى التي قتلناها بسبب وبدون سبب لأن الخلاص الوحيد لهذا الكوكب قائم في أن يعود إلى ما كان عليه ،أي لاوجود سوى الحيوانات فوقه ،لأنه وطنها ،وطنها وحدها، ولم نكن سوى مستعمرين غلاظ القلب وغلاظ الروح ،سرقنا لحمها وجلدها

١ ـنفسه:صـ٢٠٤

وحتى مواهبها، وحولنا كثيرًا منها إلى كائنات شريرة ،رغم كل محـــاولات إخفاء حقيقتنا خلف الأشياء الجميلة التي ندعي أننا ابتكرناها ،هذه الأشـــياء التي لم تكن سوى تقليد مكشوف من قبلنا لتلك الكائنـــات(...) لقـــد ســـبقتنا الكائنات الأخرى في كل هذا، وها نحن كما ترى ،لا شـــيء يفســـر قـــبح وجودنا مثل عملنا المتواصل على إبادتها بسبب تفوقها علينا ،ففـــي ثلاثـــة مليارات عام طورت هذه الكائنات كل ما هو صحيح لتستمر الحياة ،وفي أقل من مائة عام دمر الإنسان الكثير مما بنته."[١]

وهذه الأفكار هي نفس ما قاله الإيكولوجيون باستمرار، حيث ينفـــي المركزية البشرية ويستعيض عنها بالمركزية الحيوية ،فالإنسان شريك لبقية الكائنات الأخرى ،وهي التي سبقته على هذا الكوكب، ولكنه حاول السيطرة على الطبيعة واخضاعها وقهرها ،فغضبت الطبيعة ،وآن الأوان لترد عليه بطرق شتى. وفي كلامه دعوة لاحترام حقوق الحيوانات والكائنات الأخرى ،ويحاول في مواضع أخرى من السرد إيجاد التشابه بين الإنسان والحيوان، بل عناصر تفوق الحيوانات على الإنسان مثل الرؤية الحادة للنســـر والتـــي يحاول الإنسان _في الرواية_ الحصول على مثلها. وذلـــك ينفـــي التفـــوق البشري _كما يدعي أصحاب رأي مركزية الإنسان_ وبالتالي ينفي مركزية الإنسان .

كما يعرض الكاتب للاستغلال السيء للبيئة من خلال تبعـــات التقـــدم التكنولوجي ،وكذلك محاولات التغيير في الطبيعة بمساعدة الهندسة الوراثية.

وهناك العديد من المظاهر التي عرضها إبراهيم نصر الله للدلالة على تغير الطبيعة وغضبها ، من ذلك:

١-تبدل طبائع بعض الكائنات الحية:

في اللقاء الأول بين القارئ والرواية سيشد انتباهه ولاشـــك عنـــوان

١ -نفسه:صـــ٢٣٥

الرواية (حرب الكلب الثانية) وسيتكون لديه تأويلات محتملة حول موضوع الرواية فغالبا سيكون محورها(كلب) وهناك (حرب أولى حدثت) و(حرب ثانية ستحدث نتيجة لما سيحكيه الكاتب من أحداث) ، وحينما يشتبك القارئ مع الرواية في محاولة لقراءتها وتأويلها سيعلم يقينا أن (الكلب)كان له دور رئيسي في الأحداث ،حيث هناك تحولات رئيسة في البيئة والكون ستحدث ،بدأت من ظاهرة تخص الكلاب وهي ظاهرة (اختفاء الوفاء عند الكلاب)[١] والتي تسببت في قتل الكلب لصاحبه، ثم تسببت في نشوب حرب كبيرة ،كانت حرب الكلب الأولى ،وبعدها بفترة توالت الأحداث أو لنقل الانهيارات المختلفة على مستويات مختلفة منها (الإنسان ،البيئة)،والتي أنتجت حرب الكلب الثانية .

واختيار الكاتب (حيوان) ليكون في صدر عنوان روايته دلالة هامة جدا ،فهو تأكيد على أن هناك في الكون شركاء غير الإنسان لهم دور في الحياة ،وإذا كان الإنسان يتعامل مع البيئة باستهانة وبتهميش لها وتدمير فسيأتي الوقت الذي سترد عليه البيئة بمكوناتها المختلفة وتري الإنسان غضبتها الكبرى ،والتي سيدفع ثمنها حتما.

ومن المقاطع السردية الدالة على العلاقة بين الكلاب والإنسان الآتي:

" التجأ إلى جوف المدينة ،كما التجأ أغنياء كثيرون، مضطرين، إلى ذلك الجوف ،خوفاً من الفوضى والحيوانات، وبالذات شراسة الكلاب ،التي ربما تكون أدركت بذكائها مدى فظاعة أعمال الإنسان ،فشعرت كم كانت أسلافها غبية حين أمضت حياتها وفية للبشر."[٢]

وأيضًا قوله :-" ..الكلاب الشرسة التي تنتشر ما إن تهبط العتمة ،الكلاب التي تنبح كما لو أنها تحتج على زمن العبودية الطويل الذي عانى

١ -انظر صـ١٢٥،١٢٦

٢ -نفسه:صـ٤٦

منه أسلافها ،لكنها كانت تبتعد متفادية الاصطدام بها ،ما إن تقترب السيارات."[١]

وليس الكلب فحسب هو الذي تخلى عن أجمل طبيعة فيه (الوفاء) ،بل هناك **النمل** أيضا الذي ظهرت فيه صفة جديدة وهي الأنانية ،فهو من الحشرات المعروفة بعملها الجماعي وتنظيمها ،ولكنه هو الآخر تخلى عن هذه الصفة وتحول للأنانية ،وكل ذلك في محاولة منه لتقليد صفات البشر . وبذلك فقد تخلت الطبيعة عن براءتها كما يقول الكاتب (متحدثًا عن راشد): "جلس بجانبها متابعا فيلما عن اكتشاف أنماط جديدة لدى أحد أنواع النمل في سيبيريا يعيش ضمن عائلات صغيرة، وكيف يحاول استغلال فرص ضعف الحراسة على أي بيت نمل آخر ليستولي عليه. ويتحدث الفيلم عن بروز ظاهرة أطلق عليها اسم(أنانية النمل)وأسهب في تتبع قوافل النمل المشرد !وانتهى الفيلم بآراء عدد من العلماء الذين أجمعوا تقريبا على أن كثيرا من الحيوانات والحشرات باتت تقلد البشر وعاداتهم وأخلاقهم بصورة من الصور ،وأن هذا الأمر إذا ما تأكد فعلا ،فإننا سنكون أمام ظاهرة جديدة فعلا وهي ظاهرة تخلي الطبيعة عن براءتها ونظامها."[٢]

٢- اختفاء التنوع:

اختفت الألوان من الطبيعة [٣]،بعد أن كانت تزخر بالعديد من الألوان التي تبقي الحياة جميلة ،وهذا الأمر تحديدا متشابك ومترابط مع ظاهرة الشبه والتشبه التي سعى الإنسان إليها ،فكأن التنوع اختفى من الطبيعة مع اختفاء التنوع من الإنسان ،فهناك تشابه ممل وتكرار عقيم .

وكذلك أصبحت كثير من الخضروات والفواكه والطيور تشبه بعضها البعض- كما سبق وأشرنا،حتى فصول السنة الأربعة تحولت لفصل واحد

١ -نفسه:صـ٧٦

٢ -نفسه:صـ٢٦٦

٣ -نفسه:انظرصـ ٣١

وتداخلت[١]،وللتنوع جمال لا يدركه إلا القليل ، ولا نعرف قيمته إلا إذا انتهت هذه الظاهرة ،فالاختلاف رحمة.

٣-غياب الشمس:

من مظاهر ديستوبية البيئة (غياب الشمس) ومعها نتج العديد من العواقب ،فقد أصبح الناس يعيشون على الأضواء الصناعية بديلا عن ضوء الشمس ،ولكنهم لم يستطيعوا التحكم في الرطوبة والعفونة وشحوب الوجه الناجم عن غياب الشمس[٢] ،وكذلك انقراض الفواكه والخضروات والتي استبدلوها بحبوب بديلة[٣].

يقول الكاتب واصفا مشهد الليل :" كان الليل وحده في الخارج حين هبط راشد الدرجات العريضة لبوابة المستشفى، ليل باتت حلكته تتزايد يوما بعد يوم، ومعها تزايدت روائح العفونة في كل مكان، بسبب الرطوبة الناتجة عن غياب الشمس ،ودهم البشر حسّ بأن أكتافهم لم تعد قادرة على احتمال ثقل العتمة الصلبة ،ورغم أن الأمر أفزع الناس كثيرًا في البداية ،إلا أنهم بدأوا يتعاملون معه كحقيقة أبدية لا حل لها .أما هو ،راشد، فقد كان على يقين من أن الناس يمكن أن يتأقلموا مع أسوأ الظروف في النهاية ،وإن أبدوا احتجاجهم في البداية."[٤]

في هذا المقطع السابق الذكر يربط الكاتب بين أكبر حدث يمكن أن يحدث في البيئة ويمثل مصيبة كبرى في حياة البشر ، وبين طبيعة من طبائع البشر وهي تأقلمهم مع المصائب ومع التغيرات المختلفة، فمهما يحدث يتأقلم معه الناس ويتعايشون معه ،ولا يحتجون سوى في البداية ومن ثم يتعاملون معه كحقيقة واقعة دون محاولة لتغيير الأمر. حتى أن هذه الطبيعة التي

١ -انظر صـ١١٨

٢ -نفسه:صـ٢٨

٣ -انظر :صـ١٦٨

٤ -نفسه:صـ٩٠

يرصدها الكاتب شمل بها بعض الكائنات الأخرى أيضا فيقول: "لمح سرب خفافيش يعبر الظلمة المضاءة بأنوار واجهة المستشفى ،لكنه لم يكن متأكدا إن كانت خفافيش فعلا ،فقد لاحظ أن بعض الطيور بدأت تتأقلم مع العتمة ، وعدّلت ساعتها وغرائزها البيولوجية، بحيث حددت أوقاتًا جديدة لغنائها ومواعيد تزاوجها، لكن طيورا أخرى لم تتمكن من ذلك ،لذا كان يمكن سماع غنائها في كل الأوقات ،وهذا ما أصاب القطط أيضًا ،إذ تحولت السنة كلها إلى شهر شباط طويل مكون من اثنى عشر شهرًا ،في وقت غدا فيه طائر البوم ،وكل المخلوقات التي تتمتع بقدرته على الإبصار أسعد الكائنات."[١]

٤- الانقراض:

مع كل هذه التغيرات كان لابد من حدوث انقراض لكائنات متعددة منها النباتات ومنها الحيوانات ،وهذا ما أشار إليه الكاتب غير مرة . وقد طال الانقراض كذلك الورود فقد أصبحت كائنات نادرة من الصعب الحصول عليها، وربما كان ذلك أيضا إشارة إلى أن الورود بمعانيها المختلفة الدالة على المحبة والمودة والتسامح قد أصبحت نادرة الوجود في حياة البشر ،ويعزز ذلك الافتراض كون الكاتب لا يفصل بين التغيرات البيئية وتغيرات الإنسان فهما مرتبطتان ببعضهما أشد الارتباط.

٥- تحولات الطقس:

مع التدمير الهائل للطبيعة وتزايد معدلات التلوث كان لا بد من حدوث تحولات خطيرة في الطقس ،وهو ما عبر عنه خلال الرواية قائلا: "كانت السيارة التي يقودها تعلو وتهبط فوق غربان وطيور تتساقط نافقة مع تحولات الطقس الحادة ،في وقت كانت فيه صهاريج وزارة الصحة الضخمة تنفث في الهواء أبخرة طبية للسيطرة على رائحة العفونة -التي تحولت إلى

١ -نفسه"صـ٩٠

اسم جديد للهواء- و للوقاية من نوبات السعال."[١]

٦-الأعاصير:

زادت الأعاصير في البيئة ،وشهد العالم إعصار تسونامي(٥)وهو أشد قوة من كل الأعاصير الأخرى التي شهدتها الأرض حيث يقول الكاتب: "اقترب من النافذة ،نظر إلى الخارج ،كان العالم غامضًا أكثر من أي يوم مضى ،والظلام يهز الشبابيك جارفًا الضوء في الداخل مثل إعصار (تسونامي 5) الذي تجاوزت قوته عشرة أضعاف تسونامي الأربعة السابقة، وبات الأشهر بين الأعاصير التي شهدتها الأرض فقد تجاوزت أمواجه أراضي بعض البلدان التي لم تزل تحتفظ بأسمائها القديمة مثل فرنسا ،وهولندا، وألمانيا، ووصلت حتى مشارف فيينا ،حاملة معها ملايين الناس من بلد لبلد ،جثثًا في أكبر هجرة قسرية تشهدها القارة التي لم تعد عجوزا فقط ،بل شبه ميتة ،ما جعل كثيرًا من الحكومات تستخدم الطائرات لرش مواد ،مثيرة للجنسين، في الهواء لتحفيز عمليات التزاوج ،وبنسب عالية، باعتبار ذلك هو الحل الأخير للخروج من قبضة الفناء."[٢]

ورغم وجود هذه الأعاصير فقد بدأت المياه تختفي من الكوكب، واستورد سكان الأرض المياه من كوكب المريخ، إشارة إلى موت الحياة على الأرض واكتشافه على كواكب أخرى غير الأرض .حيث يقول الكاتب :"تتابعت المحطات عارضة بعض الأخبار التي سمعها منذ الصباح :بدء استيراد المياه العذبة من المريخ ،فتح أبواب الهجرة إلى خمسة كواكب جديدة عذراء مع بداية شهر سبتمبر ،فضائيو الكواكب السبعة المأهولة يستقبلون على أبواب مجرتهم الفوج الثامن من مهاجري كوكبنا."[٣]

---

١ -نفسه:صـ٢٢

٢ -نفسه:صـ٢٣٢

٣ -نفسه:صـ١٢٧

كانت هذه هي أهم العناصر البيئية الديستوبية التي عرضها الكاتب في روايته ،وقد كان نغمها الحزين السوداوي متفقا ومتماشيا مع النغم الحزين السوداوي الخاص بأخلاق البشر وطبائعهم ، فامتدت السوداوية لتشمل كل مكونات الحياة ، ولتصدر لنا الحياة ألحانا حزينة نابعة من مصادر شتى لكن مسببها هو الإنسان فقط ،الذي سعى لمكاسبه الخاصة فقط بغض النظر عن الآخر ،وهذا الآخر يشمل البشر وغير البشر، وسعى لتهميش كل من حوله ورفض التنوع وخرب في الطبيعة، فما كان إلا أن تحولت الحياة لسواد وردت عليه الطبيعة وأظهرت غضبها .

وبذلك تعتبر هذه الرواية من الروايات المعاصرة القليلة التي اهتمت بالبيئة وبموضوعاتها ،ونفت مركزية الإنسان ،ونبهت لوجود شركاء آخرين في هذا الكون، وحاولت لفت نظر البشر إلى أن أفعالهم تؤثر على كل من يحيط بهم ،فالإنسان مكون من مكونات مختلفة ،وشريك لموجودات أخرى ، وإذا لم ينظر إلى عواقب أفعاله فسينهار مع كل الموجودات حوله.

وإذا كانت رواية(حرب الكلب الثانية)مثلت ديستوبيا بيئية ،ومثلت صرخة قوية غرضها تنبيه البشري ،فإن الكاتب صبحي الفحماوي في روايته(إسكندرية ٢٠٥٠) قد اقترح حلا لمشكلات البيئة المختلفة التي قد تحدث في المستقبل وذلك من خلال الكائنات الخضراء التي تدل على الاستدامة- كما سنرى- والتي تعتمد بشكل كبير على التطور في الهندسة الوراثية.

(٣١٢) رواية(إسكندرية٢٠٥٠) لصبحي الفحماوي:

الكاتب الفلسطيني الأصل صبحي الفحماوي له اهتمامات بيئية واسعة ،فهو مهندس زراعي ،وعضو في الجمعية البيئية الأردنية ،وزرع في الأردن -كما يقول-أكثر من مليون شجرة. وهذا الاهتمام الواسع بالقضايا البيئية لابد وأن ينعكس على كتاباته الإبداعية ويمتد إليها. وقد ظهر هذا الأمر بوضوح في هذه الرواية والتي يظهر من عنوانها أنها رواية

استشرافية بالدرجة الأولى وذلك لأنها تتحدث عن مدينة الإسكندرية في عام ٢٠٥٠م، وقد يظن القارئ للوهلة الأولى أننا مقبلون على ديستوبيا حادثة لامحالة بناء على الأحداث الحالية الفوضوية والمدمرة للبيئة، ولكن يكسر الكاتب أفق توقعنا فتأتي الرواية مستندة على رؤية إيجابية متفائلة ،حيث يسيطر التقدم العلمي الهائل على البلاد أجمع فتجد الاختراعات العلمية في كل مكان، وتجد الرفاهية في مدينة الإسكندرية

ويقترح الكاتب فكرة الإنسان الأخضر التي سنعرضها لاحقا، ولكن رغم أن الرواية استشرافية إلا أن بها الكثير من السرد السير ذاتي ،فالكاتب يتخيل نفسه وهو في المستقبل في العام٢٠٥٠م ،ويتذكر ماضيه وهو في فلسطين المحتلة ثم رحلته إلى الإسكندرية في عهد جمال عبد الناصر ليدرس الهندسة في الإسكندرية، وينتقل الكاتب ما بين الماضي الحادث الذي يتشابه مع سيرته الذاتية والذي يأخذ الجزء الأكبر من أحداث الرواية وما بين المستقبل المتفائل الذي يسيطر عليه الاختراعات العلمية البناءة والتي امتدت لتشمل تطورا كبيرا في الهندسة الوراثية ووصلت حد تخليق البشر .

**** المشكلات البيئية:**

يعرض الكاتب العديد من المشكلات البيئية والتحديات التي واجهها العالم وواجهتها مصر والإسكندرية خصوصا ،ومنها:

١- الاحتباس الحراري :فنتيجة للاحتباس الحراري الشديد الذي واجهه العالم ارتفع منسوب البحر ،واختفت بعض المناطق السياحية في مصر ،كما اختف ترعة المحمودية ،وكذلك مدينة رشيد والدلتا كاملة .

يقول الكاتب عن ذلك:" اليوم لم يبق فسيخ رشيدي، ولا حتى مدينة رشيد ذات نفسها ،التي ابتلعها البحر الساخن ،هي ودلتاها بفعل تلوث البيئة الذي قتل الأرض."[١]

١- صبحي فحماوي اسكندرية ٢٠٥٠ :روايات الهلال :دار الفارابي:٢٠٠٩م :صـ٢٠٠

كما يقول: "لو تدقق ،فسوف تجد أن محافظة البحيرة مهددة بأن تغمرها مياه البحر بسبب الحرارة المتزايدة .لقد تطاول البحر علينا وامتد ليغطي مساحات شاسعة من الشواطئ ،والمناطق السياحية التي اختفت عن الخارطة المصرية، وانسابت المياه هنا وهناك ،ونحن الآن نتدارس حلولاً لهذه التحديات البيئية .."[١]

ولقد سبب هذا الاحتباس الحراري-كما يذكر الكاتب -إغراق الكثير من المناطق حيث "أغرق آلاف الجزر المنخفضة في إندونيسيا والفلبين والكاريبي ،وغمر الدلتا-جنة مصر الخضراء، وسلة غذائها- كما غرقت واختفت بعض الجزر الإماراتية المنخفضة ،صار الخطر يتهدد السواحل كلها وصارت إعصارات تسونامي الخليجية هي شغلنا الشاغل."[٢]

وعرض هذه المشكلة وغيرها لا يتنافى مع الأمل الذي يعرضه الكاتب من خلال الكائنات الخضراء ،فهو يتعامل بواقعية في عرض هذه المشكلات البيئية حيث أنه متوقع لا محالة حدوث انهيارات في نظام الطبيعة نتيجة تعامل الإنسان مع الطبيعة واستغلالها بشكل سيء ،وبالتالي هو يعرض هذه المشكلات ومن ثم يعرض لحل قد تنتجه الأجيال القادمة فتحل مشكلات البيئة تدريجيا.

١- قلة المياه: من المشكلات البيئية الهامة التي يعرضها الكاتب والتي تشترك مع رواية إبراهيم نصر الله هي قلة المياه التي نتج عنها تصحر الأراضي الزراعية ،وسبب العديد من المشكلات الخطيرة ،على كافة الأصعدة.

يقول مشهور(الشخصية الرئيسة في السرد):" لا تملك إلا أن تقوم فتبول في المرحاض، وتضغط ماء الشطافة الذي ينزل على شكل بخار

١ -نفسه:٦٩

٢ -نفسه:صـ٩٣

حليبي مضغوط ،ثم تفتح صنبور البخار المضغوط لتغسل يديك .كلها أدوات تستخدم تقنين المياه .قضية بيئية تعودنا عليها في الإمارات ،ولكن أن تكون في اسكندرية البحيرة ،وترى بأم عينيك ربوعها التي كانت خضراء ،وقد جفت أغصانها ،وتصحرت مراعيها ،وترملت حقولها ،فلم يعد ينكحها ويخصبها غمر مياه النيل المتقوقع على نفسه ."[١]

في الفقرة السردية السابقة أشار الكاتب إلى بعض أدوات التقنين التي أضحت تستخدم في الإسكندرية للحفاظ على المياه ،نتيجة قلتها ،ومعنى وصول المشكلة إلى مدينة الإسكندرية دلالة على وصولها حدا شديد الخطورة ،وذلك لأنها مدينة ساحلية ،كما أنها قريبة من مدينة (البحيرة) التي يمر بها نهر النيل ،وقد ظهرت آثار قلة المياه في جفاف المراعي ،وتصحر الأراضي الزراعية.

هذه أهم التحديات البيئية التي ذكرها الكاتب والتي واجهت العالم ،لذا فقد حاول الباحثون في الرواية إيجاد حلول لهذه التحديات وحاولوا "إدخال الأرض في حجرة الإنعاش"[٢] على أمل "إعادة الصحة والتوازن إليها."[٣]

****الزمن الأخضر:**

كانت أهم خطوة لإنقاذ قلب الأرض هو هذا الجيل الأخضر ،الذي سيحول العالم والزمن من زمن أصفر كان متوقع حدوثه نتيجة هذه التحديات البيئية إلى زمن أخضر ينقذ الأرض .

يقول مشهور: "مائة عام وعام من العمر المبدد كأنك دخلت هذا العالم من باب وخرجت منه من الباب الآخر ! لم تكن تدرك أنك ستعيش ،حتى تصل إلى هذا (الزمن الأخضر) !كانوا يقولون :"سيأتي على الناس (زمن

١ –نفسه:صـ٩٣

٢ –نفسه:ص_٩٥

٣ –نفسه:صـ٩٥

أصفر)تهب فيه رياح صفراء ،تصبغ الكون كله باللون الأصفر، فتصير فيه الشوارع صفراء ،والبيوت صفراء، والأشجار صفراء، والوجوه صفراء ،ويهجم أهل يأجوج ومأجوج ،صفر اللون ،فيحولون كل شيء إلى اللون الأصفر !كل هذا تفهمته ،ولو في عالم الخيال ،وأما أن يكون حفيدك رائدًا لزمن أخضر حقيقي ،فهذا هو مالم يخطر لك على بال."[١]

وتعتمد عمليات التخضير هذه على التطور الكبير للهندسة الوراثية التي مكنتهم من دمج الخلية النباتية مع الخلية الحيوانية فنتج عنهما حيوان أخضر.

يقول برهان (عالم الوراثة)وابن مشهور:" لقد تطورت أبحاثنا الوراثية يا أبي ،فبعد أن نجح العلماء الأوائل في دمج خلية نباتية مع خلية حيوانية ،وأنتجوا منهما أول خلية حيوانية لحيوان أخضر .تابعنا بعد ذلك تطوير أبحاث الحيوان الأخضر."[٢]

ويشير الكاتب إلى أن تمثال أبو الهول كان المشروع الوراثي للفراعنة حيث دمجوا الإنسان مع الأسد إشارة إلى شعار الحاكم الذكي القوي ،وهذه الفكرة (دمج كائن مع آخر) هي ما يسعى إليها علماء الوراثة الحاليون ولكن مع اختلاف الكائنات ،ويظهر ذلك من المقطع السردي التالي :"عالم الهندسة الوراثية يا أبي ،هو نوع من الجنون والعشق ،ونوع من خلق الحياة الجديدة .الحياة الإنسانية التي نحلم بها ! فقدماء علماء الفراعنة فكروا في الهندسة الوراثية ،وتوجوا أفكارهم بتمثال أبو الهول العظيم ،والذي يعبر عن مشروعهم الوراثي ،المتمثل في دمج رأس إنسان مفكر ، في جسد أسد هصور .الذكاء مع القوة ،قد يكون التمثال شعار الحاكم الذكي القوي، وقد يكون الهدف علميًا بحتًا ، ليكون الإنسان المستنير بقوة الأسد . وهذا ما

١ -نفسه:صـ١٠

٢ -نفسه:صـ٣٨

حققناه اليوم على أرض الواقع . ولكننا لا نريد دمج الإنسان مع الأسد، بل دمج الأسد مع النبات ،والإنسان مع النبات، وكل حيوان مع نبات، فيظهر لنا حيوان نباتي ،لا تعتمد حياته على غريزة الصراع من أجل البقاء ،بل البقاء من أجل الحب."(١)

ويمثل كعنان (حفيد مشهور) ممثلا لهذا الجيل الأخضر ،وهذا الجيل الأخضر له مجموعة من السمات منها أنهم لا يأكلون فبالتالي يوفرون تكاليف الطعام كما يظهر لنا من المقطع السردي التالي حيث يقول مشهور :" الحمد لله الذي تخلص كنعان من إشغال نفسه بقضايا الأكل ،خاصة وأن تكاليف الطعام في رحلتنا هذه تعادل عشرة أضعاف تكاليف الإقامة في الفندق .ولهذا كان جسمه الكلوروفيلي مصدر اقتصاد في النفقة ،وانتصارًا للحياة التي تتلاشى بين مليارات الفقراء المعدمين ،والذين لا يجدون لقمة الخبز .وليس هذا فحسب ،بل هو توفير للعمر الذي نقضيه في انتاج وتداول وتحضير الطعام ومستلزماته ،والوقت الذي نقضيه في تناول الطعام ،وما ينتهي إليه من فضلات تلوث البيئة ، فلا نملك الوقت للتحديق والتمتع بجماليات الكون ،وتحقيق أهدافنا من الحياة."(٢)

ويصف مشهور حفيده: "شعره عشب نجيل أخضر ، يقف مشرئبا كثيفا نضرا لامعا ،وفي وجهه وجسده لمعة وطراوة أوراق البرتقال وخضرتها."(٣)

وبالطبع هناك بعض المشكلات البسيطة التي قابلتهم بخصوص كنعان الأخضر ، مثل ضغط رئته على صدره وذلك لعدم انقباض وانبساط الرئة ،ولكنه في المجمل إنسان رائع، ويبدو أن الكاتب قد استلهم هذه الفكرة

١ -نفسه:صـ٩٢

٢ -نفسه:صـ١٥٨

٣ -نفسه:صـ٦٢

(الإنسان الأخضر) من مصادر متعددة منها جبران خليل جبران ويؤكد ذلك إشارته المستمرة لهذا الأمر كما يظهر في التالي:

"مشكلة كعنان أنه لا يستخدم كثيرًا من أجهزته التقليدية كالجهاز الهضمي مثلا، و لا يستخدم رئتيه للتنفس .والتمثيل الكلوروفيلي الذي يتم داخل جسده يستهلك ثاني أكسيد الكربون ،ويفرز الأكسجين الذي يستهلكه جسمه ،وبذلك يتعادل لديه الأكسجين مع ثاني أكسيد الكربون .ولذلك تضغط رئتاه على صدره ،لعدم انقباض وانبساط التنفس .ولكن لا مشاكل أساسية في بنيته الصحية ،فهو إنسان رائع يا والدي ،فكما تعرفه ،رائحة فمه ونقاء حلقه مثل رائحة ونقاء مياسم وبتلات زهر البرتقال ،ومدام لا يتنفس فهو لا يشخر...

– هكذا حققتم يا ولدي حلم الرومانسية التي جاء بها جبران (هل تحممت بعطر ،وتنشفت بنور)"[١]

****التكامل مع الآخر:**

يظهر بوضوح في الرواية الفكرة التي نادى بها البيئيون وهي فكرة التكامل مع الآخر ،مع شركاءنا على كوكب الأرض سواء النباتات أو الحيوانات ، ونشر المحبة بديلا عن الصراع والعنف بين كل الأطراف ، وهذه هي الفكرة الرئيسة التي تدور حولها الرواية والتي تنبثق منها فكرة الإنسان الأخضر أو الحيوان الأخضر ،فهو يعتبر حلا طرحه الكاتب للخروج من التحديات البيئية الراهنة وكذلك لتغيير أهداف الإنسان وسلوكياته القائمة على الصراع مع الآخر ونبذه ،ومحاولة لهدم فكرة(إذا لم تكن ذئبا قتلتك الذئاب)

ويظهر ذلك من مقاطع سردية متعددة في الرواية ، فيقول الكاتب على سبيل المثال من خلال حلم بطل الرواية مشهور :" الناس الذين يسعون في

١ –نفسه:صـ١٤٩

الأرض لونهم أخضر ،وبعوضة وذبابة خضراوين تلاعبان نحلة وفراشة خضراوين بسعادة بالغة وهن طائرات بين أفرع شجرة وارفة الظلال ،وعلى أحد أغصانها يأتلف نسر وحمامة خضراوان ،وتحت الشجرة خراف وماعز خضر تتعانق مع أسود ونمور لونها أخضر بمحبة واسترخاء ! تنظر في المرآة ،فترتعب إذ تشاهد لونك أخضر مثلهم ! وعندما سألت عن أبناء آدم التقليديين قالوا لك إنهم قد انقرضوا ودالت دولتهم ،بعد أن فسدوا وأفسدوا الأرض بفرديتهم وجشعهم وتوحشهم في القتل والتدمير."[١]

في المقطع السردي السابق يؤكد الكاتب على فكرة التكامل والتناغم وائتلاف مالا يأتلف في الحياة المعتادة ،كالنسر مع الحمامة والخراف والماعز مع الأسود والنمور، والقط مع الفأر [٢] ، فكلها كائنات خضراء متآلفة مع بعضها البعض ،في وقت انتهى فيه الإنسان الأول والثاني وجاء جيل الخضر(الإنسان الثالث) ،الذي يحاول خلق عالم بلا تحديات ،ويحاولون خلق جنة على الأرض .

وتظهر فكرة التكاملية بوضوح أكبر في نصيحة والدة تودد لابنتها قائلة: "أحبي زملاءك . تكاملي ولا تتنافسي معهم. ساعدي الناس وتعاوني معهم .أحبي الطبيعة ،اخدمي النباتات ،ولاعبي الحيوانات ،وساعديها على الاستمتاع بالحياة والتخلص من الألم .اعزفي الموسيقا للنباتات وللحيوانات .كوني جميلة تري الوجود جميلًا."[٣]

كما يظهر في المقطع السردي التالي: "يدور برهان حول نفسه فرحا وهو يقول :حين لم تفلح الأديان ولا الأمم غير المتحدة في زراعة المحبة بين الناس ،وفي تقليم أظافر النهش والقتل والتدمير والاستيلاء على

١ –نفسه:صـ١٣٧

٢ –انظر أيضا صـ١٤٧

٣ –نفسه:صـ٦٤

الآخرين، نحن نقوم بالمهمة .الوراثة تقوم الآن بتحويل جينات الإنسان والحيوان القائمة على الاعتداء على الآخر ،إلى جينات محبة للآخر ،وتقوم بإطالة عمر الإنسان وكل الكائنات الحية ،لتغيير فلسفة الحياة ،وتحويل الصراع إلى التناغم والتكامل. نحن نسعى لخلق الجنة على الأرض. الآن تختفي أمامنا مقولة :إذا لم تكن ذئبًا أكلتك الذئاب. وتستبدل بعبارة الإنسان مفكر مبدع جميل، وفنان محب ،ورفيق بإخوانه: الإنسان والحيوان والنبات."[١]

مما سبق يظهر لنا أن الكاتب صبحي الفحماوي قد عرض بعض المشكلات البيئية التي توقع حدوثها نتيجة الأوضاع الحالية ،ولكنه في نفس الوقت عرض اقتراح أو فكرة قد تكون بالنسبة لنا صعبة الحدوث وخيالية لدرجة كبيرة ،ولكنها في جوهرها دعوة إلى التنمية المستدامة ودعوة لإيجاد حلول بيئية دائمة تنظر إلى الكون ككل وتراعي حقوق الأجيال القادمة .وهذه الرواية تعتبر محاولة لتنمية وعي القرّاء بالقضايا والمشكلات البيئية .

وإذا حاولنا إيجاد المشترك بين الروايتين فهو الاهتمام بالمشكلات البيئية وتوجيه الانتباه إلى شركاء الكون وإلى ظلم وطغيان الإنسان. وما أحوجنا لمثل هذه الروايات التي تهتم بالمجتمع الحيوي ككل ،وذلك لإنقاذ البيئة والكون مما حلّ بهما ،ولتقليل الآثار السلبية الناجمة عن قهر الطبيعة وسوء استغلالها .وقد تبدو هذه القضية بالنسبة للبعض رفاهية نظرًا لوجود مشكلات كبيرة يحياها الإنسان خاصة في المجتمعات العربية .ولكن في الحقيقة هذا الرأي ينافي الصحة ويجانب الصواب وذلك لأننا نعيش في منظومة متكاملة ،وإذا نظرنا لجانب دون آخر فقدنا كل شيء ،إضافة إلى أنه إذا ضيعنا الطبيعة منا فقدنا حقوق الأجيال القادمة، ومن حقهم علينا أن ننظر إلى حقوقهم ومستقبلهم ،أضف إلى ذلك أن أصل معظم المشكلات التي

١ -نفسه:صـ١٧٦

تقابلنا والتي ندمر بها الطبيعة وندمر بها أنفسنا هي(المادية والنفعية) حيث نقيس كل شيء بمدى نفعيته لنا .وهذا من وجهة نظري مكمن الفساد وبداية كل بلوى .ولذا فإن (الوسطية والتكاملية) في كل شيء هو الأفضل ،وهذا الذي قد يحقق النفع للأجيال الحالية والمستقبلية.

وإذا كنت سأدعو إلى شيء في هذا البحث فسيكون توجيه النظر للقضايا الإيكولوجية وذلك على المستويين الإبداعي والنقدي ،وإعادة قراءة التراث الأدبي العربي مستعينيين بأدوات النقد والفلسفة الإيكولوجية للكشف عن العلاقة بين الإنسان والمجتمع الحيوي ومحاولة فهم وتوعية الإنسان بالطبيعة وكينونتها وقضاياها ،وذلك كله يصب في محاولات فهم الإنسان لنفسه ولأهدافه في الحياة ولحقيقة وجوده.

**الخاتمة:

توصلت في بحثي إلى مجموعة من النتائج منها:

١-تعد الكتابات البيئية والخطاب البيئي خطابًا ما بعد حداثي ،ويعتبر جزءًا من العولمة السائدة الآن، وهو يشهد نموًا متزايدًا في العالم ،وإن كان هذا الخطاب أكبر في الغرب عنه لدى العرب، وذلك نظرًا للكوارث البيئية المتحققة والمتوقعة نتيجة تعامل بني الإنسان مع البيئة ومحاولاتهم المستمرة لقهر الطبيعة.

٢-يستند النقد الإيكولوجي إلى مذاهب وفلسفات إيكولوجية مختلفة منها الإيكولوجيا الجذرية والإيكوفمنزم والإيكولوجيا الاجتماعية والإطيقا الإيكولوجية ،وكل هذه المذاهب تنفي فكرة المركزية البشرية وتستعيض عنها بتوكيد لقيمة الكليات المنظومية الإيكولوجية. وجميع هذه المذاهب تنطلق من أزمة(السلطة) حيث سببت المركزية البشرية استغلالا وهيمنة وقهر للعناصر الأخرى المكونة للمجتمع الإيكولوجي وللمنظومة الإيكولوجية. ورغم اتفاق هذه المذاهب في النقاط الرئيسة إلا أنها تختلف في أمور أخرى كثيرة وفي منهجية العمل.

٣-الخطاب البيئي ليس وليد هذا العصر ،فهو قديم جدًا وماثل في كثير من الحضارات خاصة الحضارة المصرية والشرقية ،كما أن علاقة الأدب بالطبيعة علاقة قديمة ومتجذرة في التراث الأدبي.

٤-يمثل الأدب والنقد الإيكولوجي مجالًا بينيًا عابرًا للتخصصات .

٥-يهتم النقد الإيكولوجي بالتمثيلات الأدبية للطبيعة ،ويحول التركيز من العلاقات الاجتماعية إلى العلاقات الطبيعية ،وينظر إلى الفرد كعنصر في المنظومة الإيكولوجية، كما يهتم النقد الإيكولوجي بدراسة المكان. ويكون تعامله مع المكان باعتباره موضوع أو شخصية أكثر من كونه خلفية للعمل الأدبي .

٦-يعتبر الخطاب الإيكولوجي النقدي وغير النقدي خطابًا ثقافيًا ،فالعلاقة بين البشر والطبيعة هي في الأساس علاقة بين الثقافة والطبيعة .فالطبيعة وإدراكنا لها تعتبر بناءًا ثقافيًا ،ومنتجًا ثقافيًا ولغويًا.

٧-يظهر الخطاب البيئي في روايتي(إسكندرية٢٠٥٠)للكاتب صبحي الفحماوي و(حرب الكلب الثانية)للكاتب إبراهيم نصر الله . وقد جاء هذا الخطاب على نمطين مختلفين حيث اتبع إبراهيم نصر الله الشكل الديستوبي السوداوي بينما اتبع صبحي الفحماوي الشكل الإيجابي القائم على الأمل ومحاولة إيجاد حلول بيئية مستدامة. وإن كان هدف كل منهما هو التوعية بالكوارث البيئية التي نشهدها وسنشهدها إذا ما استمر قهر الطبيعة .

كما يظهر في الروايتين فكرة إبطال مركزية الذات البشرية ،ومحاولة إدراك العلاقات التبادلية بين الذات البشرية وغير البشرية، كما توجه النظر إلى الفرد كجزء من المنظومة الإيكولوجية.

٨-يحتاج الخطاب النقدي والأدبي العربي إلى توجيه النظر نحو قضايا البيئة لتوعية المجتمع بقضايا البيئة، وللمساهمة في حل الأزمات البيئية المتفاقمة.

وفي النهاية نقول إن هذا البحث يمثل _من وجهة نظري- لبنة في التعريف بالنقد الإيكولوجي ،حاولت فيه التعريف به وبنشأته والمذاهب التي استند إليها، كما حاولت تقديم نموذجين أدبيين اهتما بالقضايا البيئية ،وشهدا خطابًا مصوغ إيكولوجيا ،وخطابًا توعويا لا مباشرًا. ويحتاج الأدب العربي منا إلى تدعيمه بدراسات كثيرة نعيد فيها قراءته إيكولوجيا ،وخاصة أن الأدب العربي زاخر بجوانب مختلفة تشهد احتفاءًا بشركائنا في المنظومة الإيكولوجية.

وبعد فما هذا إلا جهد بشري يكتنفه ولا شك ثغرات مختلفة غير مقصودة ، وآراء قد تكون صحيحة أو خاطئة وعذري أنها محاولة لتقديم شيء مختلف وجديد عن الدراسات المتكررة في موضوعاتها.

المصادر والمراجع:

أولاالمصادر:

١- إبراهيم نصر الله: حرب الكلب الثانية:الدار العربية للعلوم ناشرون:الطبعة الأولى:٢٠١٦م

٢- صبحي الفحماوي: إسكندرية ٢٠٥٠:دار الفاربي:٢٠٠٩م

ثانيًاالمراجع العربية:

٣- ابن منظور:لسان العرب:طبعة دار المعارف

٤- (د)عبدالحكم عبد اللطيف الصعيدي:البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني:الدار المصرية اللبنانية:الطبعة الثانية:١٩٩٦م

٥- (د) مصطفى النشار: مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الإيكولوجية المعاصرة :الدار المصرية اللبنانية :الطبعة الخامسة:٢٠٢٠م

ثالثا االمراجع الأجنبية:

6-Donelle N Dresse: Ecocriticism(creating self and place in environmental and American Indian literatures):Petter lang publishing,newyourk:2002

Lawrence Bwell:The future of environmental criticism:Blackwell:2005-7

رابعًاالكتب المترجمة:

٨- راشيل كارسون: الربيع الصامت: ترجمة د:أحمد مستجير: الهيئة العامة لقصور الثقافة: يناير ٢٠٠٥م

٩- مايكل زيمرمان : (الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية): الجزء الأول :ترجمة معين شفيق رومية: عالم المعرفة: أكتوبر ٢٠٠٦م

١٠- مايكل زيمرمان : (الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية): الجزء االثاني :ترجمة معين شفيق رومية: عالم المعرفة: نوفمبر ٢٠٠٦م

خامسًا \الرسائل الجامعية:

١١- نقيطة نعيمة: الفلسفة البيئية(راشيل كارسون–روجر سكروتون) أنموذجان: رسالة ماجستير: إشراف دراس شهرزاد: جامعة وهران:٢٠١٦م

سادسًا \المجلات والمواقع الاليكترونية:

١٢- بسام حسن المسلماني: مصطلحات نسوية(النسوية الإيكولوجية أو الايكوفمنزم):مقال بمجلة لها أونلاين بتاريخ ١ديسمبر ٢٠١٥م

١٣– جو موران: العلم والمكان والطبيعة في النقد البيئي :ترجمة سمر طلبة: مجلة فصول :العدد(١٠٢):المجلد(٢\٢٦)

١٤–جميل حمداوي: النقد البيئي أو الإيكولوجي: شبكة الألوكة

١٥–جيليكا توشيتش: النقد البيئي (دراسة بينية في الأدب والبيئة):ترجمة سناء عبد العزيز: مجلة فصول: العدد(١٠٢):المجلد(٢\٢٦)

١٦–غريتا غارد–لوري غروين: النسوية الإيكولوجية –نحو عدالة عالمية وصحية كوكبية: ترجمة عزة حسون:موقع مجلة معابر(الاليكترونية)

١٧–مايكل برانش Michael Branch: النَّقد الإيكولوجي الطَّبيعة في النظريَّة والممارسة الأدبيَّتين :ترجمة معين رومية: مجلة معابر الاليكترونيةhttp://www.maaber.org/issue_june08/literature2.htm

سابعًا :
أصول اللغة